321

HARLEQUIN

روايات أحلام

سهام من حرير

ميراندا لي

www.elromancia.com
مرمورية

سهام من حرير

لطالما ألقت النساء بأنفسهن على جاستين ماكارثي . فأي امرأة لا تحلم بأن توقع بذلك الرجل الوسيم وتتنعم بثروته الطائلة !

تصور جاستين أنه أمن تلك المضايقات . عندما وظف راشيل سكرتيرة خاصة لديه فهي امرأة عادية الجمال متحفظة ولا نية لديها في إغوائه . إلى أن جاء ذلك اليوم ... خلال رحلة عمل ساعدها لتتحرر من محنة تواجهها . فتحرر جمالها وانطلق أمام ناظريه . ولم يعد جاستين يكتفي برؤيتها جالسة بتحفظ خلف مكتبها ... لكن الوميض الغريب الذي يلمحه في عينيها يجعله يتردد قبل أن يدرج الحب في جدول أعماله !

ميراندا لي

كاتبة استرالية، تعيش قرب مدينة سيدني. ولدت وتربت في منطقة ريفية. تعلمت في مدرسة داخلية واتجهت إلى مجال الموسيقى لفترة وجيزة، وذلك قبل أن تنتقل إلى سيدني وتغوص في عالم الكومبيوتر

تعيش ميراندا زواجاً سعيداً، ولديها ثلاث بنات بدأت بكتابة الروايات العاطفية عندما اضطرت إلى البقاء في المنزل بسبب التزاماتها العائلية. تفضل كتابة القصص الواقعية ذات الأحداث المتسارعة والتي تتميز بها

تشمل اهتماماتها قراءة القصص الشهيرة والكلمات المتقاطعة ومشاهدة الأفلام السينمائية

رهن إشارة رئيسها

إنها صالحة تماماً! هكذا فكر جاستين منذ اللحظة الأولى التي دخلت فيها الآنسة ويذرسون الغرفة. بدا شكلها عادياً، وشعرها البني مربوطاً إلى الوراء في صفيرة أنيقة، أما ملابسها ذات اللون الأسود فهي في غاية الاحتشام. كما أنها لم تكن تضع على وجهها أي مساحيق أو عطور كما لاحظ جاستين بارتياح

على العكس تماماً من تلك الشقراء المذهلة التي ظلت تتمايل أمامه في المكتب منذ شهر بصفتها مساعدته الشخصية. ولكن، لكي يكون صادقاً مع نفسه، فإن الفتاة أظهرت كفاءة عالية، ذلك أن الشركة التي سارعت بإرسالها إليه بعد اضطرار سكرتيرته السابقة إلى ترك العمل بشكل مفاجيء، لا ترضى إلا بالسكرتيرات الكفوءات

لكن المشكلة هي أن الفتاة أبدت بوضوح، خلال أيام قليلة، أن خدماتها يمكن أن تمتد إلى أكثر من مجرد سكرتيرة، فاغتنمت كل فرصة وكل سلاح تملكه في جسدها المغري لكي تبلغه هذه الرسالة. راحت تغريه بالملابس المثيرة، والابتسامة، والتعليقات ذات المعنى، حتى لم يعد يستطيع احتمالها، خاصة عندما دخلت إلى مكتبه يوم الاثنين الماضي، كاشفة من جسدها أكثر مما تكشفه بنات الشوارع.

لم يطردها جاستين مباشرة، فهو لم يكن بحاجة إلى ذلك، لأنها كانت تعمل عنده بشكل مؤقت على كل حال. وإنما أخبرها ببساطة بأن هذا

www.elromancia.com

سيكون آخر أسبوع لها في العمل هنا، لأنه حصل على سكرتيرة دائمة، وستبدأ هذه الأخيرة العمل يوم الاثنين القادم. وكانت هذه كذبة طبعاً لكنها بدت ضرورية لسلامته العقلية.

وهذا لا يعني أنه أحس بانجذاب نحو الفتاة. على الإطلاق، وإنما لأنها بتصرفاتها تلك ذكرته بتصرفات ماندي مع رئيسها في العمل، حيث لم يقتصر عملها اليومي على القيام بأعمال السكرتيرة الخاصة، بل إنها راحت تطوف حول العالم برفقته في طائرته النفاثة والخاصة.

توتر قلب جاستين للذكرى. لقد مضى عام ونصف منذ اعترفت له زوجته بما يجري بينها وبين رئيسها، مضيفة ذلك الخبر المدمّر وهو أنها ستتركه لتبقى برفقة رئيسها. عام ونصف! ومع ذلك مازال يشعر بالألم، ألم خيانتها وخديعتها. هذا بالإضافة إلى الأشياء الجارحة التي قالتها له في ذلك اليوم الذي لن ينساه، والتي تحطم القلب والروح!

معظم الرجال الذين تنبذهم نساؤهم بهذه الوحشية، يلتمسون علاجاً لكبريائهم المحطمة بالارتماء على كل انثى يقابلونها. لكن جاستين لم يكن من هؤلاء فقد كان مجرد التفكير في اتصال حميم مع امرأة أخرى يبعث القشعريرة في جسده. ولم يخبر بالطبع أياً من أصدقائه وزملائه بذلك.

فالرجل لا يعترف لأصدقائه بأمور كهذه، لأنهم لن يتفهموا مشاعره ولن يتعاطفوا معه على الإطلاق. لكن أمه كانت لديها فكرة بسيطة عن الأمر، فأدركت كم جرحته خيانة ماندي وهجرها له. راحت تطمئنه أنه، يوماً ما، سيقابل المرأة التي ستنسيه ماندي. والأمهات متفائلات دوماً، كما أنهن سمسارات زواج بامتياز.

اتصلت به أمه خلال العطلة الأسبوعية، بعد أن أخبرها عن وضع مكتبه، لتقول له إنها وجدت له سكرتيرة خاصة ممتازة، فتملّك جوستين الحذر. لكنه كان قد ذاق لوعة البقاء من دون سكرتيرة خاصة، لمدة أسبوع كامل. كما أن أمه طمأنته بأن راشيل هذه ليس فيها ما يجعل الرجل يخاف

وها هي ذي الآن أمامه بلحمها ودمها. فماذا رأى؟

بدت المرأة نحيفة ومرهقة للغاية، تحت عينيها هالتان سوداوان كبيرتان. ورغم أن عينيها بدتا جميلتين، لونهما يثير الاهتمام، إلا أنهما كانتا حزينتين للغاية.

كانت المرأة في الواحدة والثلاثين من العمر وفق الأوراق الشخصية المقدمة في طلب العمل، لكنها بدت أقرب إلى الأربعين. تفهم جاستين ذلك نظراً لما عانته خلال السنوات القلائل الماضية. تملكه العطف عليها وقرر منحها الوظيفة حالاً. كان يعلم أن لديها المؤهلات المطلوبة، ورغم اعتزالها العمل مدة طويلة إلا أن امرأة بذكائها لن تجد صعوبة في تجديد مهاراتها في السكرتاريا. ومع ذلك، كان عليه أن يكمل المقابلة معها حتى النهاية، كي لا يبعث فيها الريبة والشك. فلا أحد يحب الشفقة أو الإحسان.

وعندما استقرت جالسة، قال بواقعية «وهكذا يا راشيل، لقد حدثتني أمي كثيراً عنك، وما تضمنته سيرتك العملية في هذا الأوراق يدعو إلى الإعجاب. فهمت منها أنك اشتركت في المباراة النهائية «لسكرتيرة العام» منذ سنوات قليلة. وكان رئيسك حينذاك ذا مقام رفيع للغاية في الإذاعة الأسترالية. هل بإمكانك أن تحدثيني قليلاً عن تجربتك العملية هناك..».

* * *

١ ـ سعيدة من دون رجل

ـ هذا يذكرنا بالأيام الماضية، أليس كذلك؟

قالت راشيل هذا لإيزابيل وهي تصعد إلى سريرها وتجذب فوقها اللحاف، المكوّن من رقاع مختلفة الألوان.

ـ هذا صحيح.

أجابتها إيزابيل بذلك وهي تصعد إلى سريرها أيضاً، وراح ذهنها يستعيد صور الماضي. كانت الفتاتان قد دخلتا معاً إلى المدرسة الداخلية، وأصبحتا صديقتين حميمتين منذ اليوم الأول. وبعد أن قُتل والد راشيل في حادث اصطدام قطار وهي بعد في الرابعة عشرة، أصبحت صداقة الفتاتين أكثر حميمية. تولّت رعاية راشيل إحدى صديقات أمها، وهي امرأة طيبة للغاية تدعى «ليتي»، وابتهجت إيزابيل عندما اكتشفت أن ليتي تعيش في إحدى ضواحي سيدني حيث يعيش والدها أيضاً. وأثناء الإجازات المدرسية غالباً ما كانت راشيل تنام لأيام في بيت إيزابيل، ولم تكن ليتي لتمانع لم يعد التفريق بين الفتاتين ممكناً، فقد كانتا تمضيان الساعات في سريريهما تتحدثان من دون انقطاع، ولم يكن ثمة شيء آخر أحب إليهما من هذه الأوقات وابتسمت راشيل لصديقتها: «أشعر وكأنني عدت إلى سن الخامسة عشرة»

لكن إيزابيل فكرّت وهي تتنهّد بأن صديقتها لا تبدو في الخامسة عشرة، بل تبدو أكبر من عمرها الحقيقي وهذا أمر يُرثى له. فقد كانت رائعة ذات يوم، بشعرها البني اللامع، المائل إلى الحمرة، وعينيها المتألقتين

وقوامها الذي طالما حسدتها عليه الفتيات، حتى إيزابيل نفسها.

لكن ملازمتها لأمها بالتبني التي أصيبت بمرض مزمن طوال أربع سنوات تركت آثارها عليها، وأصبحت راشيل مجرد ظل لما كانت عليه. كانت ليتي تعاني من مرض ألزهايمر وأملت إيزابيل أن تستعيد صديقتها حيويتها وجاذبيتها السابقتين بعد وفاة ليتي، لكن هذا لم يحدث بعد.

ومع ذلك، فقد ازداد وزنها قرابة كيلوغرام ولم يكن قد مضى على الوفاة أكثر من أسابيع قليلة. وهذه بداية لا بأس بها. فعندما تبتسم، كما فعلت منذ لحظة، يمكن للناظر أن يلحظ قبساً من جمالها الغارب.

أملت إيزابيل أن تبتسم صديقتها كثيراً في عرسها غداً، وإلا فإنها ستصعق عندما ترى صورها فيما بعد. أما هي نفسها، فلاشك أنها تبدو في أجمل مظهر فالحب يناسبها، كما يناسبها الحمل.

كانت تشع تألقاً. شعرت إيزابيل بالسرور الآن بعد أن اتخذت بعض الإجراءات التي ستجعلها تطمئن إلى أن وصيفتها راشيل لن تتألم كثيراً أثناء المقارنة.

ـ عديني بأن تدعي مزيّن الشعر يصفّف شعرك بطريقة أنيقة غداً. الشعر الأحمر يناسب ثوبك الفيروزي أكثر من الشعر البني، كما أن بضع خصلات مسترسلة على كتفيك ستبدو مناسبة مع فتحة عنق الثوب الواسعة. لا أريدك أن تمشطي شعرك إلى الخلف كما تفعلين أثناء العمل، أو ترفعيه فوق رأسك ريف يكره رفع المرأة لشعرها على كل حال. كما أنني اتفقت مع خبيرة تجميل، ستحضر للاهتمام بمكياجنا، أنا وأنت، ولا أريد أن أسمع أي اعتراض منك.

ـ أنا لن أعترض، فغداً يومك وسأفعل ما تريدين. لكن أودّ أن يكون الصباغ باللون الأحمر لشعري مؤقتاً، من فضلك، فأنا لا أريد أن أذهب يوم الإثنين إلى العمل بشعر أحمر

ـ ولم لا؟

ـ أنت تعلمين السبب. . . أحد الأسباب التي جعلت جاستين يمنحني الوظيفة هو أنني لا أشابه سكرتيرته السابقة. تلك المبهرجة العابثة، هل نسيت؟ لقد أخبرتنا أليس بكل شيء عنها.

أدارت إيزابيل عينيها: «لا أظن أن في لون الشعر الأحمر أي نوع من البهرجة أو العبث».

ـ ربما لا، لكنني لا أريد المجازفة، أنا أحب وظيفتي يا إيزابيل، ولا أريد أن أقوم بأي شيء يمكن أن يجعلني أفقدها.

ـ أتعلمين؟ عندما سمعت بجاستين ماكارثي لأول مرة، فكرت في أنه شخص عاقل لعدم رغبته بسكرتيرة متألقة تظهر مشاعرها نحوه، فسكرتيرة كهذه نادراً ما تنتهي معها شؤون المكتب على خير. لكنني الآن بت أوافق ريف على رأيه فيه. إنه يقول إن أي رجل مطلق يطرد سكرتيرة رائعة الجمال لأنها تفازله، لابد أن يكون إما شاذاً، أو أنه يعاني من عقدة ما.

فقالت راشيل بنبرة مدافعة: «لكنه لم يطرد السكرتيرة السابقة. لقد كانت مؤقتة فقط. وليس لدى جاستين عقدة تجاه النساء على الإطلاق، فهو لطيف جداً معي».

ـ لكنك قلت إنه صعب كثير التطلب.

ردّت راشيل: «حصل هذا فقط ذلك النهار حين محوت أحد الملفات من دون قصد، ما اضطره للعمل طوال ست ساعات ليعيده كما كان. إنه، عادة، هادىء الطبع جداً».

ـ ألم تلاحظي أن لديه عقدة ما؟

ـ لم أر منه دليلاً يشير إلى هذا.

ـ حسناً، تبقى مسألة الشذوذ. ما رأيك؟ هل رئيسك شاذ؟ هل يمكن أن يكون هذا سبب ترك زوجته له؟

ـ لا أدري في الحقيقة، وبصراحة، يا إيزابيل، ذلك لا يهمني. حياة رئيسي الخاصة من شأنه وحده.

ـ لكنك قلت إنه وسيم جداً، وهو ما يزال في منتصف الثلاثينات من العمر. ألم تشعري، ولو قليلاً، بالانجذاب نحوه؟

ـ لا، أبداً، على الإطلاق.

كرّرت راشيل هذا بحرارة، فنظرت إيزابيل إليها مطوّلاً بعينين ضيقتين: «أنا لا أصدّقك! أخبرتني منذ فترة قصيرة بأنك تشعرين بالوحدة حتى إنك لا تمانعين في إقامة علاقة صداقة مع أي رجل. وها أنت الآن تعملين مع رجل وسيم ثم تخبرينني بأنك لا تفكرين فيه على الإطلاق؟ أنت تعانين من بعض الكآبة، يا راشيل، لكنك لست ميتة. أنت تتحدثين إليّ أنا، لا تنسي، أنا صديقتك الحميمة. موضع ثقتك وأسرارك على مدى سنوات. أنا لم أنس أنه كان لديك صديق وأنت في السادسة عشرة من عمرك، وبعد ذلك لم تكوني من دون صديق أبداً إلى أن نبذك أريك. ربما لم تعودي تحبين الرجال كثيراً بعد ما فعله بك ذلك النذل، ولكن. . .».

سارعت راشيل تقول: «آه، مازلت أحب بعض الرجال. فأنا أحب خطيبك ريف».

قالت ذلك وهي تبتسم بوقاحة. فردّت إيزابيل بجفاء: «حسناً، كل النساء يحببن ريف، حتى أمي. ولكن بما أنّ حبيبي ريف هو والد طفلي القادم، وسيصبح زوجي غداً، لا يمكنك أن تحصلي عليه أو أن تستعيريه. عليك أن تبحثي عن رجل لنفسك راشيل».

ـ ومن قال إني أرغب بذلك؟

فأجفلت إيزابيل: «أليس لديك رغبات؟».

ـ لا يبدو ذلك. أنا لم أعد أفكر بالرجال على الإطلاق.

فكرت إيزابيل أن هذا واضح تماماً. ولو أن راشيل تفكر أحياناً بالرجال لاتخذت لنفسها صديقاً على الأقل، وليذهب رئيسها المعقد بالشكوك إلى الجحيم. يمكنها إيجاد وظيفة سكرتيرة في مكان آخر بعيداً عنه. منطقة الأعمال في سيدني مليئة برجال وسيمين من كل الأعمار. ومع أنه من

الصعب أن تعثر على زوج رائع مثل ريف، لأنها بدأت تفقد بعضاً من جمالها، لكن لا حاجة بها لأن تبقى وحيدة أو عزباء.

وتابعت راشيل تقول: «عندما كنت في السادسة عشرة من عمري أحببت جوش وكانت تلك المرة الأولى التي أقع فيها في الغرام».

ـ بدوت سعيدة يومها.

ـ نعم بكل تأكيد. كانت المرة الأولى التي ينتابني ذلك الشعور الجميل بأنني محبوبة.

عندما قلت بعد وفاة ليتي إنني أقبل صحبة أي رجل، كان ذلك بدافع من حزني ووحدتي. أمّا الآن فقد اختلف الأمر. وبصراحة بعد تجربتي مع إريك، لا أظن أنني قادرة على الوقوع في الغرام. لم يعد لي قلب يحب... أو شجاعة. لقد جرحني إريك أكثر مما أستطيع شرحه، وكنت أظنه يحبني بقدر ما أحبه. لكنني أدرك الآن أنه لم يحبني على الإطلاق.

ـ ذلك الجرذ الأناني لم يكن يحبك ولكن هذا لا يعني أنك لن تقابلي، يوماً ما، رجلاً يحبك بالقدر الذي تستحقينه

ـ أنت تقولين هذا فقط لأنك كنت محظوظة بالعثور على ريف منذ وقت قريب، لم تكن لديك مثل هذه الفكرة الجيّدة عن الرجال.

ـ هذا صحيح.

لم تستطع إيزابيل أن تنكر أنها بقيت زمناً طويلاً تسخر من الرجال فبعد بلوغها سن الرشد، وقعت أكثر من مرة في غرام رجال غير مناسبين لذا فهي لا تلوم صديقتها لشعورها هذا. لقد عاملها إريك بشكل شائن إذ نبذها بعد أن علم أن راشيل تركت وظيفتها لتعتني بليتي. وكان زوج ليتي نفسه قد تركها بكل قسوة بعد أن أخذ مرضها يزداد ولابد أن هذه كانت القشة التي قصمت ظهر البعير كما يقال. ولم يكن غريباً بعد ذلك أن تفقد راشيل ثقتها بالرجال.

وتابعت راشيل: «أنا سعيدة جداً كما أنا يا إيزابيل، من دون رجل في

حياتي الخاصة أنا مستمتعة بعملي حقاً فالعمل مع خبير في توظيف الأموال أمر ممتع حقاً. إنني أتعلم الكثير عن سوق الأسهم والمعاملات المالية، وهذا لم يكن مجالي قبل الآن. كما تعلمين، أنا أفكر في متابعة دروسي الجامعية مساءً خلال السنة القادمة، للحصول على شهادة في إدارة الأعمال وذلك بدوام جزئي لقد وضعت خطة لحياتي يا إيزابيل فلا تقلقي بشأني. سأكون بألف خير».

تنهّدت إيزابيل. فصديقتها راشيل فتاة شجاعة، لكنها سيئة الحظ. عندما ماتت ليتي، اعتقدت الفتاتان أنها ستحصل على حصة في منزلها، بالرغم من كونه مرهوناً فراشيل هي المستفيدة الوحيدة من وصية ليتي، التي كتبتها بعد أن هجرها زوجها. وكانت تنوي بيع البيت لتدفع عربوناً لشقة في داخل المدينة مستعينة بالمال الذي سيبقى بعد تسديد الدين. لكنها فوجئت بأن المنزل كان ما يزال باسم زوج ليتي عندما ذهبت راشيل إلى المحامي الذي كان يهتم بالعقار وشرحت له أنها كانت تدفع بنفسها رهن البيت لمدة أربع سنوات ونصف وذلك من المال الذي تحصل عليه من أعمال الخياطة داخل المنزل، واجهها بقوله إن زوج ليتي كان قد دفع الرهن لمدة خمسة عشر عاماً قبل ذلك. وهو لا ينوي أن يدفع لها بنساً واحداً كما أخبرها ان الزوج ينوي إقامة دعوى لنقض وصية ليتي الأخيرة، لأن هذه الوصية كتبت بعد مرض ليتي، الذي شُخص بضعف في عقلها

كما أخبر المحامي راشيل أن بإمكانها أن ترفع دعوى في المحكمة تطالب فيها بحصة في البيت. إذا شاءت. لكن نجاح القضية غير مضمون فهي وإن كسبت القضية، فإن المبلغ الذي ستحصل عليه لن يتعدى نفقات إقامة الدعوى من دون شك

وهكذا خرجت راشيل من البيت صفر اليدين سوى من ممتلكاتها الشخصية وهي عبارة عن ملابسها وماكينة خياطة مستعملة

أقامت مؤقتاً مع إيزابيل في منزلها الكائن في تورامورا، ووافقت على

www.elromancia.com

البقاء فيه والعناية به طوال فترة غياب إيزابيل وريف في شهر العسل. عرضت عليها إيزابيل أن تسكن في بيتها بصورة دائمة وبإيجار رمزي مادامت هي ستنتقل إلى منزل زوجها بعد عودتهما من شهر العسل، لكن راشيل رفضت قائلة إنها ستبحث عن منزل صغير قريب من مكان عملها. وفكرت إيزابيل في أن صديقتها غبية حقاً، لأن عليها أن تقبل المساعدة في ساعات حاجتها. لكنها راشيل! . . . راشيل الفخورة المستقلة ذات الكبرياء الذي يتجاوز الحد!

مع ذلك فهي أفضل صديقة في العالم!

وكانت إيزابيل ترجو أن تجد راشيل، ذات يوم، من يستحقها. . . رجلاً متميزاً حسّاساً. . . رجلاً يمنحها الكثير من الحب. لأن هذا ما تحتاج إليه راشيل، أن تكون محبوبة. . . وبجنون وصدق وعمق.

تماماً كما يحبني ريف، كما أخذت إيزابيل تفكر حالمة. رباه، كم هي محظوظة! ومسكينة راشيل. كم تشعر بالأسى لأجلها.

* * *

٢ ـ لن أجازف بخسارتها

في صباح يوم الإثنين، كانت راشيل تسرع في سيرها كي لا تتأخر عن العمل. استقلت القطار الذي وصل متأخراً قليلاً عن موعده المعتاد، وهي الآن تحاول أن تعوّض الوقت المفقود، يساعدها على ذلك حذاؤها المريح.

استدارت حول منعطف الشارع الذي يواجه الشرق، فبهرت عينيها فجأة أشعة الشمس المشرقة، لكنها لم تبطىء من خطواتها.

إنه نهار آخر دافىء كما أدركت بسرعة. لاشك أنها ستشعر بدفئه أكثر من اللزوم فهي ترتدي سترة سوداء طويلة الكمين. لقد تأخر الربيع في القدوم إلى سيدني هذه السنة، لكنه وصل أخيراً وراح يسجل درجات حرارة مرتفعة أيضاً. فقد سجل تشرين الأول حتى الآن الرقم القياسي في حرارة الجو ولا يبدو أن هذا النهار سيكون مختلفاً مامن سحابة تشوّه صفحة السماء الزرقاء، ما يجعل أي تغيّر في مجرى الرياح الجنوبية أمراً غير محتمل

ما من شك في ذلك! وعليها أن تبتاع، في أسرع وقت، بعض ملابس العمل المناسبة فالثياب التي تملكها الآن لن تكفيها حتى فصل الصيف. ما كان لها، منذ البداية، أن تكون من الغباء بحيث تشتري بذلات سوداء طويلة الأكمام ستشتري في المرة القادمة، ملابس ذات ألوان مختلفة، غير متألقة أو مكشوفة، وإنما تتلاءم مع «إكسسوار» أسود، مثل الرمادي الفاتح والبني

لكن لسوء الحظ، عليها أن تؤجل التسوّق حتى تعود إيزابيل من شهر العسل أي بعد ثلاثة أسابيع ذلك أنها لا تعرف المتاجر التي أخذتها إليها إيزابيل آخر مرة، والمختصة بملابس المرأة العاملة الرزينة. وإلى ذلك الحين،

www.elromancia.com

عليها أن ترتدي الثياب السوداء ذات الأكمام الطويلة لحسن الحظ أن هناك مكيفات هواء في المكاتب كما أخذت تفكر وهي تثني أكمامها إلى أعلى مرفقيها.

نظرة جانبية منها إلى انعكاس صورتها في واجهة أحد المتاجر جعلتها تتأوه... كان شعرها ما يزال أحمر، مع أنها غسلته عدة مرات مساء أمس ومرتين هذا الصباح.

لم يعد شديد اللمعان كما كان في العرس يوم السبت، لكنه لا يزال لامعاً بما يكفي الآن. ليتها اشترت بالأمس صبغة بنية! لكنها، حينذاك، كانت لا تزال تأمل بأن يزول هذا اللون الأحمر.

لو لم تكن إيزابيل ذاهبة لتمضية شهر العسل، لمزقت راشيل الرباط الذي يجمع بينهما... هذه الصديقة الحميمة المتآمرة. لابد أن مربي الشعر الذي أحضرته قد استعمل صبغة شبه دائمة... إنها واثقة من ذلك

اعترفت بأنها بدت جذابة في العرس ما أعجب التغيير الذي يحدثه الثوب الجميل مع طراز الشعر الفخم والماكياج! لكن ذلك بدا مناسباً حينها. أما الآن..؟

الشعر الأحمر اللامع لا يتلاءم تماماً مع وجهها الخالي من كل زينة أو مع ملابسها ذات الطراز العملي. لحسن الحظ أن غسلها لشعرها عدة مرات بالأمس، خفف من البريق واللمعان اللذين كانا يميزانه واليوم ربطته بإحكام إلى الوراء راجية أن يخفف ذلك من وهجه، فهي لا تريد أن يظن جاستين أنها تحاول أن تلفت انتباهه بأي شكل وكما أخبرت إيزابيل تلك الليلة، فإنها تحب وظيفتها ولا تريد أن تخسرها أو أن تجازف بخسارة العلاقة الطيبة التي نشأت بينها وبين رئيسها وهي علاقة مهنية صرفة. ومؤسسة على الاحترام المتبادل. وقد أخبرها جاستين، الأسبوع الماضي، عن ارتياحه عندما يحضر إلى العمل فلا يختنق بشذا العطر الثقيل أو يواجه فتحة العنق لبلوزة يضيع فيها مركب.

وصلت راشيل وهي تلهث إلى المبنى المرتفع الذي يضم شركة الضمان الضخمة التي تعمل فيها. عندما سمعت لأول مرة عن الوظيفة، ظنّت أنها وظيفة مساعدة شخصية لمدير الشركة التنفيذي لكن تبيّن لها أن جاستين هو خبير مالي مستقل بالغ البراعة والسرعة وقد تعاقدت معه الشركة للاستفادة من نصائحه المالية الممتازة، وذلك لمدة سنتين. بعد ذلك ينوي جاستين إنشاء شركته الخاصة للاستشارات المالية، وسوف يؤسس مكتباً بعيداً عن المنطقة المالية في وسط المدينة. وقد شرح جاستين لراشيل عن مشاريعه المستقبلية أثناء استراحة تناولا فيها القهوة وأخبرها أنه يتصوّر منذ الآن مكتبه مشرفاً على أحد الشواطىء الشمالية.

أما في الوقت الحالي، فقد أعطته الشركة حق استعمال جناح يقع في الطابق الخامس عشر من مبناها، وكان هذا من الارتفاع بحيث يطل على مشهد جميل للمدينة والمرفأ.

لكن المنظر الخارجي لم يكن الشيء الوحيد الجميل في هذا الجناح، ذلك أن مساحته لا تُصدّق. فراشيل تشغل وحدها قاعة الاستقبال بأكملها، وهي قاعة واسعة تتضمن استراحة للسيدات ومطبخاً صغيراً لتحضير الشاي، هذا إلى المكان المخصص للعمل وهو على شكل نصف دائرة يمكن أن يتسع لثلاثة مكاتب خلف قاعة الاستقبال يقع مكتب جاستين وهو فسيح أيضاً وقد ألحقت به غرفتان كبيرتان إحداهما مجهزة للاجتماعات والثانية للاستراحة واستقبال الزائرين. بالإضافة إلى حمام مبلط بالرخام الأسود مجهّز بمعدات رائعة التصميم، ذات لون ذهبي. أخبرها جاستين ذات مرة، بأن أحد مدراء الشركة قد شغل هذا الجناح من قبل، فراح يغدق المال على زخرفته وتأثيثه وكأنه صاحب الشركة، ما جعل هذا الأخير يطرده من الشقة. لم يبخل ذلك المدير على شيء، من السجاد الفاخر إلى الأثاث العصري المصنوع من خشب الزان إلى الأرائك المنجّدة بالجلد الإيطالي إلى اللوحات الثمينة المعلقة على الجدران

من الواضح أن منح جاستين هذه الشقة «الخمسة نجوم»، يدل على مدى تقدير مستخدميه المؤقتين لمواهبه. وقد قدرته راشيل بصفته رئيسها أيضاً. أعجبها فيه تمسكه بآداب العمل بقوة، وعدم غطرسته. أكثر الرجال الذين يماثلونه ذكاء ووسامة يتملكهم الغرور ماعدا جاستين. وهذا لا يعني أنه كامل من كل النواحي، ففي بعض الأيام يبدو صعباً متطلّباً، مزاجه لا يطاق، ومع ذلك، كانت راشيل ترغب بمتابعة العمل معه عندما يترك الشركة لينشىء شركته الخاصة. وقد سبق له أن لمحَ إلى أنه يرحب بذلك إذا شاءت. ويبدو أنه مسرور منها بقدر ما هي مسرورة منه.

انعكست أشعة الشمس على شعر راشيل وهي تدخل إلى ردهة المبنى من خلال الباب الزجاجي. ولمحت ذلك الشعر المتألق في الزجاج، فتأوهت مرة أخرى. ستذهب حتماً أثناء فرصة الغداء لتشتري الصبغة البنية، كما أنها ستشرح لجاستين سبب تغيّر لون شعرها هذا، كي لا يقفز إلى استنتاجات خاطئة.

لم تلفت راشيل نظر أحد من الذين شاركوها المصعد أثناء صعودها إلى الطابق الخامس عشر، وذلك لأن أحداً من أولئك الرجال والنساء الأنيقين لم يكن يعرفها، فقلة ممن يعملون في المبنى تعرفها. كان جاستين يعمل بمفرده، لا يزوره سوى أحد المدراء الماليين من حين إلى آخر ليطلب النصيحة شفهياً، لأن معظمهم يتصلون هاتفياً أو بواسطة البريد الالكتروني...

لم يعقد حتى الآن سوى اجتماع واحد في غرفة اجتماعاته، على حد علمها، استقبل خلاله أحد مديري الشركة المنفّذين. وكان أحياناً يأخذ غفوة على إحدى الأريكتين بعد أن يكون قد عمل طوال الليل. وكان يحضر أسبوعياً اجتماعاً في الطابق الأعلى مع المدراء الماليين، لكنه لم يهتم قط بنشاطات الشركة الاجتماعية، كما أنه يرفض بحزم الاشتراك في سياسة الشركة الداخلية. الحقيقة هي أن رئيسها رجل انعزالي، وقد وافقها هذا تماماً. فبعد إقامتها الطويلة تلك بين الجدران، مبتعدة عن العالم الخارجي

بوجه عام، أصابتها عقدة الخوف، وباتت تجد الأمان في مكتبها، فعملها اليومي لا يتطلب منها سوى القليل من الاحتكاك مع الغرباء. لم تعد تملك تلك الثقة بالنفس التي تدفعها إلى تبادل الأحاديث القصيرة مع الناس. لقد أصبحت خجولاً تماماً، تقتصر علاقاتها على أصدقائها الحميمين، مثل إيزابيل وريف وهذا لم يكن في الماضي من طبعها على الإطلاق. فقد كان لديها ذات يوم شخصية متدفقة بالغة الحيوية. ومع إن إيزابيل تعتقد أنها ستعود، في النهاية، إلى شخصيتها القديمة، لكن راشيل تشك في ذلك. فقد غيّرتها تجاربها خلال السنوات الماضية وأصبحت انطوائية وجادة و... نعم، أصبحت عادية الشكل، وربما شكّل هذا أحد أكبر التغييرات فيها. لقد فقدت جمال مظهرها، وصبغ شعرها باللون الأحمر ما كان ليعيده. بل كل ما تشعر به الآن هو الحماقة.

توقف المصعد فانطلقت راشيل في الممرّ راجية أن تصل إلى المكتب قبل جاستين، فقد كان يذهب إلى غرفة التمارين الرياضية في الشركة يومياً قبل البدء بالعمل، ويغفل أحياناً عن مرور الوقت، وهكذا يتأخر في الوصول إلى مكتبه.

كان الباب ما يزال مقفلاً ما يشير إلى تأخر جاستين في الوصول هذا الصباح. تنهدت راشيل بارتياح وأخرجت مفتاحها وقد صمّمت على الدخول والجلوس خلف مكتبها بهدوء تام لتبدأ العمل باتزان أمام شاشة الكمبيوتر.

بعد حوالى ربع ساعة انفتح الباب بعنف، فكاد قلبها يقفز من صدرها. ولكن ليس بسبب الإثارة وإنما بسبب اضطراب فوري تملكها. ماذا سيقول رئيسها عندما يرى شعرها؟

دخل جاستين بخطواته الواسعة وجاذبيته المعتادة المتحفظة، مرتدياً بذلة كحلية مخططة وقميصاً أبيض وربطة عنق ذات لون أزرق باهت. كان شعره ما يزال رطباً من أثر الدوش، وقد حمل تحت إبطه صحيفة الصباح وفي

يده الأخرى حقيبة أوراقه. بدا مقطب الجبين مع أنه لم يكن قد نظر نحوها بعد، فقد كانت عيناه الداكنتا الزرقة شاردتين، وحاجباه الأسودان الكثيفان مقطبين فوق أنفه القوي المستقيم ما جعله يبدو قلقاً للغاية.

ألقى نحوها نظرة جانبية مختصرة وقال: «صباح الخير يا راشيل، أجّلي القهوة عشر دقائق من فضلك. لديّ ما أقوم به قبل تناول القهوة».

صفق باب مكتبه خلفه، فحملقت راشيل في أثره وقد بان في عينيها العسليتين، لأول مرة، جرح الكرامة الأنثوية.

وقالت للباب المغلق باستياء: «حسناً! صباح سعيد لك أيضاً».

هذا كل ما لاحظه من شعرها الأحمر! وخطر في بالها أنها لو جلست هنا هذا الصباح مرتدية ثوب السباحة لما لاحظ جاستين ذلك.

إلّا أنها لا ترغب بارتداء ثوب سباحة هذه الأيام على الإطلاق. فرغم ازدياد وزنها كيلو غراماً خلال الشهر الماضي إلا أن صدرها الذي كان ممتلئاً ومثيراً، قد انكمش إلى أقصى ما يمكن الآن. وقد شكت لإيزابيل ذلك يوم السبت وهما ترتديان ملابس العرس فأجابتها هذه وهي تنظر إليها في ملابسها الداخلية: «صحيح أنك نحيلة، لكن جسدك متناسب. وفي الواقع، لقد ناسبك اللون البرتقالي كثيراً يا فتاة. وهذا أدهشني حقاً».

ضحكت راشيل عند ذلك، وها هي تضحك الآن لكن لسبب مختلف تماماً.. إنها الآن تسخر من نفسها. ما الذي تفعله؟ كيف سيبدو شكلها في ثوب السباحة؟ ومن يهتم لذلك؟ فلا أحد سيهتم لشكلها سواها هي. ومرة أخرى، إنها غلطة إيزابيل التي وضعت في ذهنها أشياء سخيفة عن جاستين وعلاقتها بالرجال. العلاقة مع الجنس الآخر! لم يعد هذا الموضوع بالنسبة إليها يستحق التفكير فيه. ولكن لماذا تراها تفكر فيه فجأة؟

أمضت راشيل الدقائق الثماني التالية في تحليل سبب انفعالها، قبل أن تتوقف عن ذلك وتنهض لتسكب لجاستين فنجان قهوة من جهاز صنع القهوة الذي كانت تبقيه شغالاً طوال النهار، لأن جاستين يحب القهوة.

وحرصت على أن تمر الدقائق العشر قبل إدخالها القهوة إليه، كما أنها لم تشأ أن تتأخر أكثر من ذلك. كلما أسرع في ملاحظة شعرها المصبوغ وأسرعت هي في تبرير الأمر، كلما أصبح بإمكانها أن تستمر في عملها، لتضع جانباً خوفها من أن تبدو مضحكة في عيني رئيسها.

قرعت باب مكتبه بعد عشر دقائق بالضبط، فأجابها بحدة: «أدخلي».

دخلت راشيل فوجدته جالساً أمام مجموعة من أجهزة الكومبيوتر التي وضعت على شكل هلال في إحدى زوايا المكتب. كان يدير ظهره نحوها وهو يتحرك فوق كرسيه الدوّار أمام صف الأجهزة تلك، محدّقاً في كل شاشة منها مدة ثانيتين قبل أن ينتقل إلى غيرها. وقد خلع سترته وثنى كمي قميصه إلى أعلى. لا شك أن ربطة عنقه محلولة وإن لم تستطع رؤيتها.

عندما دخلت راشيل، انزلق جاستين من مقعده أمام آخر جهاز إلى اليمين، ثم قال من دون أن ينظر إليها مشيراً إلى مكان خال إلى يمينه: «فقط ضعيها هنا».

شعرت بالإحباط فعبست ووضعت الصينية حيث أشار، ثم استدارت لتخرج لكنها توقفت فجأة: «جاستين».

ـ هممم..؟

غمغم من دون أن ينظر إليها. تنهدت، ثم تجرأت: «جاستين، أنا بحاجة لأن أتحدث إليك».

ومرة أخرى لم ينظر إليها: «عن ماذا؟».

ـ أريد أن أشرح عن شعري الأحمر.

ـ أي شعر أحمر؟

استدار وقد رفع عينيه أخيراً عن الكومبيوتر. قطب لرؤيتها ومال برأسه قليلاً إلى أحد الجوانب «هممم... إنه متألق أكثر مما يجب بالنسبة إليك، أليس كذلك؟».

فأجفلت: «كان يبدو جيداً في العرس يوم السبت».

وكأن كبرياءها دفعتها لتدافع عن نفسها.

فحملق فيها: «العرس؟ أي عرس؟ يا إلهي يا راشيل! لا تقولي إنك تزوجت في عطلة الأسبوع من دون أن تخبريني».

كادت راشيل تضحك: «لا تقلق من حدوث أمر كهذا لي، يا جاستين. لا، بل كنت وصيفة العروس لأعز صديقة لدي، وقد تزوجت يوم السبت، وأصرت على أن أصبغ شعري باللون الأحمر لأجل عرسها هذا. وكان يفترض بي أن أغسله بعد ذلك لكنني لم أفعل، كما ترى. أردت فقط أن أطمئنك إلى أنني سأصبغه باللون البني هذه الليلة ليعود إلى لونه الطبيعي».

هز جاستين كتفيه بعدم اكتراث، ثم تناول فنجانه: «ولماذا تزعجين نفسك؟ إنه لا يبدو سيئاً إلى هذا الحد، كما أن اللون سيتلاشى مع الوقت، أو ينمو الشعر في النهاية فيتغير تلقائياً».

تصلبت كتفا راشيل؛ نموه سيستغرق سنتين أتراه يظنها حمقاء إلى هذا الحد بحيث تسير بين الناس بشعر نصفه بني والنصف الآخر أحمر لمدة سنتين؟

من الواضح أنه يظنها كذلك. قالت بحدة: «إنه يبدو كريهاً وأنت تعلم ذلك».

ثم استدارت مبتعدة عنه قبل أن تفعل شيئاً تندم عليه فيما بعد. وعندما سارت نحو الباب المفتوح، شعرت أنه يحدّق إليها. ربما كان يتساءل عما حدث لها... فهي لم تتحدث معه بهذه اللهجة قط من قبل.

ولكن عندما استدارت لتغلق الباب خلفها، لم يكن ينظر إليها على الإطلاق، أو حتى يفكر فيها. بل عاد يحدّق في متاهة الأرقام على شاشة الكمبيوتر وقد نسيَ كل شيء عن شعرها الأحمر وانفجارها المفاجيء في وجهه.

لم تدرك راشيل مبلغ غضبها إلا بعد أن حاولت العودة إلى عملها لماذا

غضبت من جاستين إلى ذلك الحد؟ هذا ما لم تستطع فهمه. فالأحرى بها أن تشعر بالسعادة لكن ذلك لم يسبب لها سوى الاضطراب. لقد شعرت للحظة بثورة عنيفة في داخلها، تمنت أثناءها لو تخطف فنجان القهوة من يده ثم تقذف به في وجهه.

لحسن الحظ أن رئيسها لم يخرج من مكتبه ذلك الصباح، أو يطلب المزيد من القهوة. فمن الواضح أنه مشغول بأمر بالغ الأهمية... برنامج مفاجيء رائع أو أزمة مالية تتطلب انتباهاً مستديماً.

خلال الشهر الذي أمضته راشيل سكرتيرة له اكتشفت أن جاستين نابغة في الكمبيوتر تماماً كما هو في الأمور المالية، فقد ابتكر عدة برامج لمتابعة سوق الأسهم والتنبؤ بها، كما أظهر قدرة ممتازة على تحليل القضايا الاقتصادية المعقدة. بالإضافة إلى واجباتها كسكرتيرة خاصة، كانت راشيل تمضي ساعتين كل يوم في استقبال وإدخال المعلومات إلى الملفات التي تستعملها هذه البرامج.

كانت تقوم بهذا العمل الممل نوعاً ما، والذي أصبح من واجباتها اليومية، قبيل الظهر عندما انفتح الباب الرئيسي ودخلت والدة جاستين.

كانت أليس ماكارثي في أوائل الستينات من عمرها، أرملة وأم لولدين. وكانت إحدى أفضل زبائن راشيل خلال السنوات الأربع التي عملت فيها من البيت مستخدمة مهارتها في الخياطة. أليس امرأة طويلة عريضة الكتفين ذات صدر أشبه بسفينة، ووركين نحيفين إلى حد مدهش. لذا فهي تجد صعوبة في العثور على ملابس جاهزة تلائمها، وهي التي تعشق شراء الملابس، ولديها من المال أكثر من اللازم، ما يسمح لها بإرضاء عشقها المحموم هذا. إذ كان زوجها السيد ماكارثي فيما مضى سمسار أسهم ناجحاً، إلا أنه كان شحيحاً نوعاً ما بحسب قولها، ما جعلها تميل إلى التطرف من جهتها، وهكذا وجدت أنها بحاجة دائمة إلى خياطة ماهرة يمكنها أن تعدّل من قياس عشرات الأثواب التي تشتريها في كل فصل.

www.elromancia.com

إلى وقت قريب، كانت راشيل هي تلك الخياطة. اكتشفتها أليس بعد أن وزعت راشيل إعلانات عن مهارتها في الخياطة في كل صناديق بريد منازل الحي الذي تقيم فيه، وكانت أليس تعيش في منزل لا يبعد سوى شارعين عن منزل ليتي.

رغم فارق السن بينهما والذي يبلغ ثلاثين عاماً، انسجمت المرأتان معاً منذ البداية. طبيعة أليس المرحة بعثت إشراقاً في حياة راشيل الموحشة. وعندما توفيت أمها بالتبني ورأى أصدقاؤها أنها بحاجة إلى وظيفة خارج المنزل، كانت أليس من الكرم بحيث أوصلتها إلى حيث هي اليوم.

ولحسن حظها، فإن إحدى بائعات الملابس، وهي فتاة تعمل في متجر تتعامل أليس معه باستمرار، عثرت لها على خياطتين فيتناميتين ماهرتين للغاية وأجرهما ليس مرتفعاً. بعد أن بدأت راشيل العمل مع ابنها، اتصلت أليس إلى المكتب مرتين لتطمئن عليها وعلى سير العمل. لكن هذه كانت زيارتها الأولى لها الآن.

هتفت راشيل بسعادة: «أليس... يا لها من مفاجأة جميلة! تبدين بحالة حسنة للغاية. اللون الأزرق دوماً يناسبك».

ابتسمت أليس مسرورة: «يالك من متزلفة! لا شيء يبدو جميلاً على جسمي هذا السيء الحظ. لكنني أبذل جهدي. وكذلك... ألا ترين أن مظهرك يبدو أحسن كثيراً هذه الأيام؟ لقد زاد وزنك قليلاً كما أنك غيّرت لون شعرك».

رفعت راشيل يدها تربت على شعرها المزعج: «ليس لمدة طويلة. سيعود إلى لونه البني الليلة. صبغته لمناسبة عرس إيزابيل السبت الماضي. أنت تذكرين إيزابيل أليس كذلك؟ تعرفت إليها في جنازة ليتي».

ـ نعم، طبعاً أتذكرها. تلك الشقراء الجميلة.

ـ هي نفسها، أرادت أن يكون شعري أحمر في العرس. وطبعاً لم أمشط شعري حينذاك بهذا الطراز، بل جعلته خصلات مجعدة مرسلة، كما أنني

تبرجت أكثر من عارضة أزياء أمام الكاميرا.

ـ أراهن على أنك كنت رائعة.

ـ لا، لكن بدا شكلي جيداً في تلك المناسبة. ولا أظن أن الأمر مشابه بالنسبة إلى الصور الفوتوغرافية، أنا أعلم أن هذا اللون لا يلائمني.

ـ ولكن قد يلائمك يا راشيل أن تضعي بعض الزينة على وجهك، لأنه يبدو بالغ التألق بجانب بياض بشرتك. فمن دون أي مكياج على وجهك يبدو لون بذلتك السوداء أيضاً صارخاً تماماً. لكن لو أنك ارتديت ثياباً ذات لون أزرق مثل هذا الأزرق الذي ألبسه، ووضعت الزينة على وجهك، فقد يلائمك الشعر الأحمر تماماً.

لم تكن راشيل في مزاج يسمح لها بتقبل آراء أليس. يكفي ما فعلته بها إيزابيل يوم العرس. وفوق ذلك فهي ما تزال مستاءة من تجاهل جاستين لها هذا الصباح. قالت بشيء من الضجر: «أليس، أنت من أخبرتني عن السكرتيرة السابقة هنا، والتي كانت متألقة لعوباً إلى حد جعل ابنك يطردها من مكتبه. ولهذا السبب نفسه منحني جاستين هذه الوظيفة؛ لأن مظهري أعجبه. إنه يريدني طبيعية».

أدارت أليس ناظريها. فبرأيها إن الرجال لا يحبون المرأة الطبيعية. حتى أولئك الذين يقولون إنهم يحبونها كذلك، يفضلون أن تجعل المرأة من نفسها دمية، وما على الشخص إلّا أن ينظر إلى رد فعل الرجال حين تدخل إلى حفلة أو إلى المطعم امرأة ساحرة بهية الزينة ليتأكد من ذلك. لكن جاستين يجتاز الآن مرحلة غير عادية، هي مرحلة ما بعد زوجته ماندي.

المشكلة هي أن هذه المرحلة دامت وقتاً طويلاً، وهذا أمر غير طبيعي، وغير صحي أيضاً بالنسبة إلى صحة ابنها العقلية والجسدية.

فقالت متذمرة: «ذلك الفتى لم يعد يعرف ما يريد، لقد تركت زوجته العاهرة فيه تأثيراً سيئاً للغاية... وإذا ما صادفتها يوماً، سوف...».

مهما كان ما تنوي أليس أن تفعله بكنتها لو رأتها... فقد انفتح باب

المكتب فجأة وبدا منه جاستين ليقطع عليها حديثها.

ـ أمي! كأنني أسمع صوتاً مألوفاً. ماذا تفعلين هنا؟ وما الذي سمعتك تقولينه؟ هل كنت تتقوّلين عليّ أشياء لراشيل؟

التهبت وجنتا أليس لكنها لم تبد شعوراً بالغاً بالذنب: «أنا لا أتقوّل أبداً، بل دوماً أقول الحقيقة».

فقال ضاحكاً: «في هذا الحالة، لماذا جئت إذن؟ ولا أريد كذباً أبيض الآن، أريد الحقيقة، كل الحقيقة ولا شيء غير الحقيقة».

فهزّت كتفيها: «جئت إلى المدينة لأتسوّق، وعندما لم يعجبني شيء خطر لي أن أحضر لأصطحبك إلى الغداء وكذلك راشيل إذا أحبّت».

فهتفت راشيل على الفور: «لا، لا، لا أستطيع. أنا مضطرة إلى القيام ببعض التسوّق».

وكانت تعني صبغة شعر بنيّة. وقال جاستين: «وأنا لا أستطيع المجيء أيضاً. حصلت أمور غير متوقعة في أسواق المال العالمية الليلة الماضية، وأريد أن أضع تقريراً عنها لأصحاب الشأن هنا قبل أن يتوقف التعامل اليوم. وهكذا سأعمل أثناء الغداء، وكنت سأطلب من راشيل أن تخرج وتحضر لي بعض الشطائر».

فقالت أليس: «مسكينة راشيل! كنت أظن أن الزمن الذي كانت فيه السكرتيرة تقوم بمثل هذه الخدمات المذلّة والحقيرة قد انتهى. لا شك أنك تطلب منها أن تعد لك القهوة عشرين مرة يومياً، فأنا أعلم مبلغ ولعك بالقهوة. وماذا أيضاً؟ أتراها تمسح الغبار في مكتبك أيضاً؟».

فأجفل جاستين: «حسناً، نعم! فعلت ذلك مرة أو مرتين».

ونظر إلى راشيل بقلق: «هل تعترضين على القيام بذلك النوع من العمل يا راشيل؟ أنت لم تقولي شيئاً قط بهذا الشأن».

تنهدت راشيل... إنها طبعاً لا تعترض. أليس تظن هذه الأعمال حقيرة مذلة، لأنها لم تضطر إلى تغيير الملاءات المنقوعة في البول كل صباح،

كما كانت تفعل هي طوال أربع سنوات: «لا، لا أعترض أبداً في الحقيقة يا أليس، صدقيني».

قالت جملتها الأخيرة عندما نظرت إليها أليس بارتياب فتنهّدت أليس: «لا، لن تعترضي. وأنت يا جاستين، إياك أن تستغل طيبة راشيل الحلوة!».

تمنت راشيل لو أن أليس تقفل فمها. التقت عيناها بعيني جاستين الساخطتين، فأدركت أنه يتمنى الأمر نفسه. ابتسمت له ابتسامة ذات معنى فأجابها بغمزة من عينيه الزرقاوين، ثم قال لأمه: «لن أستغل راشيل أبداً، فأنا أكنّ لها من التقدير بحيث لا يمكنني أن أجازف بخسارة أحسن سكرتيرة يمكن أن يحصل عليها رجل».

احمرت وجنتا راشيل لهذا الإطراء، ولم تدرك حينئذ مبلغ ما في كلماته هذه من سخرية.

***

٣ ـ أريدك معي

معظم عُزّاب المدينة يعشقون عصر يوم الجمعة من كل أسبوع، فيشعرون بالحماسة ما إن يقترب الأسبوع من نهايته وينتظرون بشوق تلك اللحظة التي يتدفقون فيها من مكاتبهم أحراراً. الجميع يحبون ليلة الجمعة لأنهم يتطلعون بشغف إلى العطلة الأسبوعية؛ يومان كاملان لا يضطرون خلالهما إلى الجلوس خلف مكاتبهم وكومبيوتراتهم. يومان كاملان يفعلون فيهما ما يريدون، أو حتى ينامون مطولاً عند الصباح ليعوضوا عما فاتهم خلال الأسبوع.

لكن حالة راشيل استثنائية؛ فهي، منذ عودتها إلى العمل، تكره عطلة نهاية الأسبوع لأنها تكره فكرة قضاء يومين دون عمل. فيما هي ذاهبة إلى عملها صباح يوم الجمعة التالي، أخذت تفكر في أنها قد تذهب إلى التسوّق وحدها خلال هذه العطلة الأسبوعية وذلك فقط لتقوم بشيء ما.

كانت عطلة الأسبوع الماضي جيدة. لكن عطلة هذا الأسبوع ستكون فظيعة لأنها ستضطر إلى البقاء وحدها في ذلك المنزل الكبير في غياب صاحبته إيزابيل. لا يمكنها أن تملأ فراغ العطلة الأسبوعية بالأعمال المنزلية وحدها، فهي تقوم بتنظيف البيت يومياً. يمكنها أن تقرأ طبعاً أو تشاهد التلفزيون ولكنها لا تشعر بالرغبة بالقيام بمثل هذه الأمور بل تشعر برغبة في الخروج والتجوال.

لسوء الحظ، لم يكن هناك حديقة حول منزل إيزابيل، بل يحيط به فناء

مرصوف بالبلاط. وقد وزعت فيه النباتات القليلة في أصص فخارية. لكن راشيل تحب العمل بيديها، وهذا هو السبب الذي دفعها لتعلم الخياطة حين كانت مراهقة.

إلا أن الخياطة لم تعد على قائمة راشيل هذه الأيام. فلم تعد ترغب برؤية ماكينة خياطتها مرة أخرى، لذا وضعتها في صندوق فوق الخزانة، كيلا ترى ضوء النهار مرة أخرى. ذلك أنها تذكرها بمرض ليتي، وكل ما جرى بسببه. ولم تكن تلك ذكريات حسنة على الإطلاق.

كانت تتمنى احياناً أن يطلب منها جاستين أن تقوم بعمل إضافي في العطلة الأسبوعية. فهي كانت تعلم أنه يذهب إلى المكتب يوم السبت ما يعني أن هناك شيئاً يمكنها القيام به كإدخال مزيد من المعلومات إلى الكمبيوتر أو غير ذلك. فغالباً ما كان جاستين يكلف مكتباً تجارياً لإنجاز مثل هذه الأعمال. لكنه لم يطلب منها ذلك قط، وهي لا تريد أن تقترح عليه ذلك خشية أن يظن أنها تحاول أن تبقى بصحبته لمزيد من الوقت، ولا تفعل ذلك بسبب شعورها المزمن بالوحدة.

نظرت راشيل إلى السماء قبل أن تدخل المبنى الذي تعمل فيه. كانت السحب أكثر كثافة مما كانت عليه بالأمس. تنبأت النشرات الجوية في بداية الأسبوع بتغيّر في اتجاه الرياح الجنوبية، وها هو التغير قد وصل أخيراً حاملاً معه أمطاراً متقطعة.

التفكير في مزيد من الأمطار في عطلة الأسبوع، ثبط حماسة راشيل للتسوّق. ربما عليها أن تنتظر حتى تحضر إيزابيل. ليس هناك ما يدعو للعجلة فبعد أن عاد جوّ سيدني إلى البرودة، سيكون بوسعها أن تستعمل بذلاتها السوداء مدة أطول. نعم، يمكن لتسوّقها أن ينتظر.

وصلت إلى المكتب، وكان جاستين قد سبقها إليه، وقد أدار جهاز تحضير القهوة ليسكب لنفسه كوباً. عندما دخلت راشيل إلى الغرفة كان يرتدي إحدى بذلاته التي تفضلها، وهي ذات لون رمادي باهت تتلاءم مع

شعره الأسود وعينيه الزرقاوين، وتحتها قميص أبيض وربطة عنق زرقاء.

ـ صباح الخير.

حياها من فوق كتفه بابتسامة: «هل أسكب لك كوباً من القهوة؟».

ـ نعم من فضلك.

أجابته وقد انتعشت روحها بعد وصولها إلى العمل. وضعت حقيبة يدها ومظلتها على الرف، ثم أخرجت الحليب من الثلاجة فهي تفضل القهوة مع الحليب وإن كانت تشربها من دونه أحياناً. أما جاستين فيفضل القهوة من دون إضافات.

ـ كيف يبدو الجوّ في الخارج؟

سألها هذا وهو يناولها فنجانها فأجابت وهي تضع الحليب: «معتم ملبد بالغيوم».

ـ لكنه ليس ممطراً حقاً؟

ـ ليس بعد لكنها على وشك أن تمطر.

ـ همم...

أحست راشيل بأن هناك أمراً ما خلف همهمته هذه، فشعرت بالفضول وسألته: «لماذا؟ هل لديك خطة أثناء عطلة الأسبوع يمكن أن يفسدها المطر؟».

ـ لا، بل على العكس لن أبقى في سيدني على الإطلاق. سأستقل الطائرة إلى الساحل الذهبي عصر هذا اليوم لأمضي العطلة في فندق خمسة نجوم.

ـ يا لك من محظوظ!

قالت هذا وهي تتساءل من تراها تلك التي سيمضي معها عطلته الأسبوعية.

ـ لا حاجة بك للشعور بالغيرة لأنك ستأتين معي.

لحسن الحظ أن راشيل لم تكن قد رفعت كوب قهوتها عن المنضدة بعد، وإلا لكانت أوقعتها حتماً.

ضحك جاستين بصوت خافت: «ليتك رأيت التعبير الذي بدا على وجهك! لا تخافي، فأنا لا أطلب منك أن تذهبي معي للعبث خلال العطلة الأسبوعية بل للقيام بعمل».

عند ذلك أقفلت راشيل فمها. حسناً... إنه يطلب منها مرافقته فقط لأجل العمل. كيف يمكنها، حتى لجزء من الثانية، أن تتصور شيئاً غير ذلك؟

يالها من غبية!

ـ أي نوع من العمل؟

سألته أخيراً بعد أن تمالكت نفسها ورفعت قهوتها إلى شفتيها، فأجاب: «إنه نوع مختلف عن النصيحة في مجال الإستثمار. يبدو أن هذا الفندق، ويدعى «حدائق الشمس»، مطروح في السوق للبيع، وكل المشترين المحتملين، ومنهم شركتنا هذه، يمكنهم الذهاب إلى ذلك الفندق، فيقيموا فيه مجاناً ليعاينوه ويتأكدوا بأنفسهم من جماله وميزاته. يمكننا بوجه عام أن نكون أحراراً في تصرفاتنا باستثناء مساء الغد حيث نحن مدعوون إلى العشاء عند المدير. وبعد ذلك هناك عرض للفيديو لإقناع المستثمرين أن الفندق صالح تماماً للاستثمار. من المفترض أن يذهب غاي وولترز، لكنه لم يستطع، وهكذا طلب مني أن أحلّ مكانه».

قطبت راشيل حاجبيها: «ومن هو غاي وولترز؟».

ـ لا بد أنك تعرفينه. إنه رجل ضخم، في الأربعينات من عمره أصلع الرأس. وهو ممتاز في حقل الاستثمار.

حاولت راشيل أن تتذكر: «لا، لا أظنني أعرفه. شخص كهذا كنت سأتذكره حتماً».

فقطب جاستين بدوره: «الحق معك، فهو لم يأت إلى المكتب منذ قدومك. على كل حال، نحن نتمرن معاً على حمل الأثقال كل صباح. وعندما وصلت هذا الصباح لم يكن موجوداً. ثم جاء بعد نصف ساعة

ليقول إنه ذاهب إلى المطار ليسافر إلى مالبورن لأن والده مريض. وبعد ذلك توسل إليّ أن أذهب بدلاً منه إلى الفندق شارحاً لي المسألة. يبدو أن شركتنا حريصة على شراء هذا الفندق، ويتوقع المسؤولون منه تقريراً صباح يوم الإثنين ولن يقبلوا بأي عذر. قال غاي إنني الوحيد الذي يمكنه الاعتماد عليه في هذا الأمر لأنه يثق برأيي. قائلاً إن داهية مثلي لن تخدعه المظاهر وسيتمكن من رؤية العيوب إذا ما وجدت. كما أنه يريد أيضاً رأي امرأة، فبرأيه إن النساء يمكنهن رؤية أشياء لا يراها الرجال أحياناً».

ـ ومن هي المرأة التي كان سيصطحبها؟ سكرتيرته أم زميلة له؟

ـ لا. كان في الواقع سيأخذ زوجته. وعندما أخبرته أن ليس لدي زوجة، قال إن هذا لا ينبغي أن يكون مشكلة بالنسبة إلى رجل مثلي. فهو يعتقد أن لديّ دفتراً أسود صغيراً مليئاً بأرقام هاتف وعناوين تخص عشرات من النساء. وأن هؤلاء مستعدات لقضاء عطلة أسبوع برفقتي عند الطلب.

توقفت راشيل عن رشف قهوتها وسألته بفضول: «وأنت، ألبس لديك دفتر كهذا؟».

فقال وقد ظهر الاشمئزاز على وجهه: «يا إلهي، كلا! أنا لست من ذلك النوع».

لم تعرف راشيل بماذا عليها أن تفكر. ربما هو لا يحب النساء. أو ربما لديه مبادىء وأفكار رجعية قديمة الطراز. أم تراه لا يشعر، كباقي الرجال، بذلك الانجذاب الطبيعي بين الرجل والمرأة؟

لكنها سرعان ما نبذت هذه الفكرة، إذ أنها لم تقتنع أن رجلاً في مثل سن جاستين وصحته قد لا يشعر بهذه الرغبة الطبيعية، مهما كانت ظروفه، وذلك مخالف لكل ما تعتقده هي وصديقاتها بالنسبة إلى جنس الرجال.

وأضاف جاستين: «قلت لغاي إنني سآخذ سكرتيرتي التي لا يقدر ذكاؤها بثمن، هذا إذا كان بإمكانك الذهاب. هل يمكنك ذلك؟».

ـ نعم، ولكن...

ـ ولكن ماذا؟

ـ ماذا عن الإقامة هناك؟ إذا كان هذا الرجل ينوي الذهاب مع زوجته، إذن...

ـ فكرت في هذا الأمر، ولكن لا شيء يستدعي القلق هناك. لقد أعطيت شركتنا شقة ذات غرفتين وحمامين منفصلين. كما أنك لست مضطرة إلى تمضية كل دقيقة من كل يوم معي. ستكونين حرة كالطائر. لكنني أتوقع أن ترافقيني إلى عشاء ليلة السبت على كل حال.

ـ ولكن... ماذا عليّ أن ألبس لمثل تلك المناسبة؟

ـ اقترح غاي أن ألبس ربطة عنق سوداء، والله وحده يعلم لماذا. قد يكون هذا اقتراح رجل يحب التظاهر، أو أن مندوبهم للعلاقات العامة أبلغه بذلك. هل لديك ثوب مناسب؟ إذا كنت لا تملكين ثوباً مناسباً، يمكنك أن تشتري غداً ثوباً من هناك. فعادة ما تكون المدن الساحلية مليئة بالمتاجر النسائية. وأنا واثق أن الشركة لن تتوانى عن دفع ثمنه.

ـ لا داعي لذلك فلدي ثوب مناسب.

ردّت عليه راشيل على الفور وهي تفكر في ثوب وصيفة العروس الذي ارتدته يوم زفاف إيزابيل. لقد اختارته إيزابيل بنفسها، وحرصت على أن يكون من النوع الذي يمكن ارتداؤه فيما بعد. حينذاك لم تتصوّر راشيل أنها ستحتاج إليه قريباً، أما الآن فسيكون مثالياً لمناسبة العشاء هذه. من المؤكد أن جاستين لا يريدها أن ترافقه إلى العشاء وهي تفتقد إلى الأناقة.

ساورها شعور خفيف بالبهجة وهي تفكر في مقدار دهشته حين سيراها وهي تسدل شعرها على كتفيها، وتضع بعض الزينة على وجهها، من دون إسراف طبعاً وإنما بشكل أنيق معقول.

قال جاستين: «هذا عظيم. ولا تنسي أن الجوّ أكثر حرارة هناك في مثل هذا الوقت من العام. ستكونين بحاجة إلى ملابس يومية خفيفة للغاية».

وعادية أيضاً».

ورأت راشيل مابدا في عينيه وهو ينظر إلى البذلة السوداء السميكة التي ترتديها. فقالت بجفاء: «لا بأس في ذلك، يا جاستين. لديّ بعض الملابس الأخرى العادية».

ومرة أخرى، شكراً لإيزابيل. عندما فسخت إيزابيل خطبتها من خطيبها السابق في بداية هذا العام، أعطت لراشيل كل الثياب التي كانت قد اشترتها لقضاء شهر العسل في جزيرة استوائية. وفكرت راشيل حينها بأنها لن تجد فرصة أبداً لترتدي مثل هذه الملابس، تماماً كما حصل بالنسبة إلى ثوب وصيفة العروس.

وها هي ذي تحتاجها الآن، فيا لغرابة الحظ!

سألته: «ومتى موعد السفر؟».

ـ ستقلع الطائرة في الرابعة عصراً، وبهذا لن يكون لدينا وقت كاف للقيام بترتيبات السفر المعتادة قبل رحيلنا. لسوء الحظ، لا يمكنني أن أترك عملي اليوم كلياً. ما زال عليّ أن أتفحص أسواق الليلة الماضية المالية، وما زال عليك أن تدخلي بعض المعلومات إلى الملفات. والآن لنرَ، أنت الآن تسكنين في... «توراموراً»، أليس كذلك؟

ـ حالياً.

فقطب جبينه: «ماذا تعنين بهذا؟».

ـ أنا أسكن في شقة صديقتي، وذلك منذ وفاة أمي بالتبني، هل نسيت؟ لقد ذكرت كل شيء عن ليتي ومرضها في أوراق الطلب.

ضرب جبينه براحته ونظر إليها معتذراً: «أنت طبعاً فعلت هذا. وقلت أيضاً إنك ستبيعين بيتها القديم وتشترين شقة قريبة من المدينة. لقد أصغيت إليك حينذاك، صدقيني، لكني نسيت الآن. ماذا حدث بعد ذلك؟ هل وجدت شارياً للمنزل؟».

فتنهدت راشيل: «من سوء الحظ أن الأمور لم تجر كما توقعت. لقد

تركت ليتي لي كل شيء، ولكن تبين أنها لا تملك البيت أو أياً من محتوياته، فهو لا يزال باسم زوجها. فكرت بأن أقيم دعوى في المحكمة، لكن قلبي لم يطاوعني، كما أن المحامي قال لي إنني لن أحصل على الكثير، حتى لو كسبت الدعوى».

ـ الحق معه. من الأفضل تجنب الإجراءات القضائية فهي مكلفة وغير مضمونة النتائج. لكن هذا أمر مؤسف، يا راشيل، كما أنه غير عادل بعد كل ما فعلته لأجل أمك بالتبني. إن الحياة ليست عادلة، أليس كذلك؟

أضاف ذلك وقد ظهرت مرارة التجربة في نبرة صوته ثم تابع: «وهكذا، ما الذي تنوين القيام به بشأن سكنك؟».

ـ حسناً، ما دامت إيزابيل في شهر العسل، أسكن أنا في بيتها. وهي لن تعود قبل أسبوعين، لكنني أنوي استئجار شقة قريبة من عملي عندما تعود.

ـ في منطقة الأعمال هنا، الإيجارات مرتفعة.

ـ إنني أراجع صفحات الإعلانات يومياً في الصحف. يمكنني أن أستأجر سريراً فقط أو أشترك في شقة.

وكان هذا آخر ملجأ لها إذ إنها لا تحب العيش مع غرباء.

ـ لا أستطيع أن أتصورك تعيشين مع غرباء.

أجفلت لحدسه الصائب هذا، بينما تابع يقول: «ألا يمكنك البقاء في شقة صديقتك؟ إنها لم تعد بحاجة إليها بعد الزواج».

ـ لقد قدمتها إليّ فعلاً بإيجار رمزي.

فقال بلهجة عملية: «خذيها إذن ولا تكوني غبية. والآن كم يلزمك من الوقت لتكوني في المطار اليوم؟ سأدفع طبعاً لسيارة الأجرة التي ستقلك رواحاً ومجيئاً».

ـ أظن أنه يلزمني ساعتين على الأقل، بشرط عدم حصول أي صعوبات غير متوقعة في السير. أنت تعرف زحام السير ليلة الجمعة.

ـ هذا صحيح. ما يعني أن عليك مغادرة المكتب في الواحدة على الأقل.

لقد أعطاني غاي تذكرتي السفر، وهكذا سأعطيك تذكرتك قبل أن تخرجي، على أن نلتقي عند بوابة دخول المسافرين. إتفقنا؟

- إتفقنا.

فابتسم: «علمت أن بإمكاني الاعتماد عليك. أي امرأة غيرك كانت ستصاب بالهستيريا بسبب حاجتها إلى يوم بأكمله للإستعداد للسفر، من حزم أمتعة وتغيير ملابس. ولكن ليس أنت».

فقالت بابتسامة صغيرة: «لا أدري إن كان هذا مدحاً أم ذماً».

- بل هو مدح. ثقي بي، وهيا بنا إلى العمل. عندما تتحرك بنا الطائرة عند العصر، أريد أن يكون مكتبي منظماً ورأسي مرتاحاً. لا أدري بالنسبة إليك، لكنني متشوّق إلى الابتعاد عن هذا المكتب، ونسيان هذا الجو الكريه. فأنا أحب الشمس والأمواج المتكسرة على الشواطىء. آه على فكرة، لا تنسي أن تأخذي معك ملابس للسباحة. حتى إن كنت لا تحبين الشاطىء، هناك بركة سباحة عظيمة داخل الفندق، كما قيل لي.

وضع من يده كوب قهوته الفارغ، وسار مبتعداً تاركاً راشيل تحدق في أثره وهي تفكر في ثوب السباحة الأصفر المتألق الذي أعطتها إياه إيزابيل.

التفكير بالسباحة إلى جانب رئيسها بثوب سباحة متألق الألوان، أرسل رعشة في جسدها، رغم أن ذلك الثوب الذي أعطتها إياه إيزابيل كان محتشماً إلى حد ما إلا أنه يبقى ثوب سباحة متألقاً. ومزيج الألوان ذاك سيجعلها تبدو بعيدة عن تلك الشخصية التي يعرفها جاستين بها، والتي يرتاح إليها. إن فكرة انجذابه إليها يوماً ما ليست إلا تخيّلات. خصوصاً إذا كان لا يحب النساء... لكنها، مع ذلك، قررت أن تنسى ثوب السباحة ذاك في البيت فهي مستقرة ومرتاحة في وظيفتها ولا تريد أن تجازف بخسارتها.

وضعت هذه الفكرة في ذهنها، وقررت ألا تترك شعرها مسدلاً أثناء عشاء الغد أيضاً، بل سترفعه كالعادة. أما زينة وجهها فستقتصر على لمسة من أحمر الشفاه، وهذا كل ما لديها من أدوات الزينة على كل حال. من

الغباء أن تندفع لشراء كل أنواع الماكياج من أجل ليلة واحدة فقط. ولماذا؟ لترضي كبرياءها؟ لأن هذا كل ما بقي لها، كبرياؤها... أما جاستين فلا علاقة لها به. من الواضح أنه لا يهتم بمظهرها مثقال ذرة.

شعرت بتحسن بالغ بعد أن اتخذت هذا القرار، فركّزت اهتمامها على عملها. وعند الساعة الواحدة تماماً توقفت عن العمل. ثم أوصلتها سيارة أجرة إلى حيث تقيم، وهناك حزمت أمتعتها بسرعة فائقة. بدت حقيبة ثياب إيزابيل التي نبذتها جيدة للغاية ولم يكن على راشيل سوى إخراج بعض الأغراض منها وإضافة أخرى، وبالتحديد ما ارتدته عندما كانت وصيفة العروس. بالإضافة إلى كيس حمامها وحذاء أبيض خفيف من خزانة إيزابيل فهي على ثقة بأن صديقتها لن تمانع.

لم يكن لديها وقت لتغيير ملابسها، لكنها ارتدت قميصاً قطنياً أبيض تحت سترتها السوداء وبهذا يمكنها خلع السترة حال وصولها إلى «كولانجاتا».

عند الساعة الثانية وعشر دقائق استقلت سيارة الأجرة متوجهة إلى مطار «ماسكوت»، لكن السير هذه المرة كان بطيئاً لأن المطر بدأ يهطل بغزارة. ومع ذلك وصلت أمام المطار، عند الساعة الثالثة وخمس دقائق. وعندما انتهت من كافة الإجراءات، كانت الساعة تشير إلى الثالثة والدقيقة الخامسة والثلاثين، وذلك قبل الصعود إلى الطائرة بعشر دقائق.

أسرعت تجتاز الممر راجية ألّا يكون القلق قد استبد بجاستين، فقد علمت أنه وصل قبلها لأنه ترك ملاحظة عند الموظفة التي تفحصت الأوراق بمنحها مقعداً إلى جانبه.

وأخيراً لاح لها الباب الذي يحمل الرقم أحد عشر ولمحت جاستين جالساً على أحد المقاعد في صالة الانتظار، يقرأ في صحيفة مسائية من دون أن يبدو عليه أي قلق، رغم أنه كان ينظر أحياناً من فوق الصحيفة. وعندما رآها تتجه نحوه طوى الصحيفة وابتسم وهو يربت على المقعد الخالي

بجانبه.

وعندما جلست قال: «ها قد وصلت».

ـ في اللحظة الأخيرة. كانت حركة السير فظيعة والطرقات مزدحمة جداً داخل المدينة. تمنيت لو أن لدي هاتفاً خلوياً لأتصل بك.

ـ لا يهم، فأنت هنا الآن.

ـ نعم، نعم. أنا هنا الآن.

كانت تلهث شاعرة بالارتياح والحماسة البالغة فهي لم تعد متوترة بشأن ملابسها أو مظهرها أثناء عشاء ليلة الغد. مضت سنوات على آخر مرة خرجت فيها أثناء عطلة الأسبوع، وها هي ذي الآن راحلة بالطائرة إلى «ساحل الذهب» بصحبة رجل بالغ الجاذبية. صحيح أنه رئيسها وأن لا علاقة عاطفية بينهما، ولكن الآخرين لا يعلمون بذلك. لا شك أنهما يبدوان كحبيبين ذاهبين لقضاء عطلة الأسبوع معاً.

سمعت صوتاً في داخلها يقول لها معنفاً: إن هذا غير محتمل، أيتها الغبية، فجاستين رجل رائع، بل هو النموذج الكامل للجمال الذكوري الذي تعتمد مقاييسه على الطول، السمرة، والوسامة، أما أنت! فانظري إلى نفسك، ربما كنت جميلة منذ بضعة أعوام، حينها كانت الأمور مختلفة أما الآن فأصبحت ظلاً لما كنت عليه. بل أقل من ظل، لقد أصبحت صدفة! هذا ما صرت عليه الآن... صدفة خالية باردة، لا تملك شيئاً من ملامح الأنوثة.

استندت راشيل إلى ظهر كرسيها وقد اكتسحتها موجة من الكآبة جرفت كل حماستها السابقة.

قال جاستين فجأة: «أظن هذه الرحلة ستنفعك».

فأجابت بملل: «آه، لماذا تقول هذا؟».

ـ بدوت مكتئبة قليلاً منذ عرس صديقتك. ربما أنت تفتقدينها، كما أن عملك مع رجل مملّ مدمن على العمل مثلي، هو أمر غير سار.

فحدّقت إليه: «أنت غير مملّ، وأنا أحب عملي، وأحب العمل معك».

فابتسم لها: «وأنا أحب أن تعملي معي. أنت امرأة سارّة للغاية. لهذا السبب أزعجني جداً ما قالته أمي ذلك اليوم. أخبريني بصراحة يا راشيل هل تعترضين على إحضار قهوة وتأدية بعض الخدمات لأجلي؟ إذا كان هذا صحيحاً، أريدك أن تقولي هذا الآن في هذه اللحظة».

ـ صدقني يا جاستين أن لا مانع لدي. بل يريحني أحياناً أن انهض وأحرك جسمي بدلاً من الجلوس لساعات أمام الكمبيوتر لتجديد الملفات.

فقطب جبينه: «تجديد الملفات يمثّل قسماً كبيراً من عملك، أليس كذلك؟ لاشك أن ذلك يسبب الضجر لشخص ذكي مثلك. عليّ أن أشركك في عملي بشكل أكبر، فأشرح لك برامجي لتتمكني من تحليل المعلومات بنفسك وتستغلين ذكاءك بشكل أفضل. هل يعجبك هذا؟».

ـ آه... سأعشق ذلك إذا كنت تعتقد حقاً أن بإمكاني القيام بهذا العمل.

أضافت ذلك مع أن قلة ثقتها المزمنة بنفسها لا تنسجم مع حماستها القوية لعرضه هذا عليها.

ـ طبعاً بإمكانك القيام بذلك. عندما أنشىء شركتي الخاصة، ستصبحين مساعدتي الخاصة وسأمنحك مرتباً مناسباً لتلك الوظيفة، ثم توظف فتاة أخرى لتعمل في مجال استقبال المعلومات وإدخالها إلى الكمبيوتر.

ـ جاستين! أنا... أنا لا أدري ماذا أقول.

ـ فقط قولي: نعم، بالتأكيد.

فابتسمت: «نعم، بالتأكيد».

ـ وهذا شيء آخر أحبه فيك، فأنت لا تتجادلين معي. آه، أنهم يعلنون الرحلة. هيا فلنصعد إلى الطائرة. عند ذلك أعود إلى الاستقرار في مقعدي لأقرأ صحيفتي، ويمكنك أنت أن تقرأي ذلك الكتاب الذي في

حقيبتك.

ونهض مندفعاً في مشيته.

سألته وهما يجتازان نقطة التدقيق في المسافرين، ليتابعا السير في النفق إلى الطائرة: «كيف علمت أن لديّ كتاباً في حقيبتي».

ـ راشيل، هل تحسبين أنني عديم الملاحظة؟ صحيح أن أنفي يندس في شاشة الكمبيوتر معظم النهار، لكنني أكون أبله مغفلاً إذا لم ألاحظ بعض عاداتك، فأنت تقرأين دائماً خلال استراحة الغداء. وأتصورك تقومين بذلك أيضاً أثناء رحلتك اليومية من وإلى العمل. هل أنا على صواب؟

ـ نعم.

ـ أي نوع من الكتب تحبين؟

ـ آه، كل الأنواع. روايات، مسرحيات، قصص البطولات القديمة وسير المشاهير والعظماء.

ـ كانت قراءة المسرحيات تستهويني كثيراً عندما كنت في الجامعة، لكنني اعترف أن مطالعاتي هذه الأيام لا تتعدى الصحف اليومية والمجلات المتعلقة بالعمل.

ـ هذا أمر شائن. فالقراءة تساعد على مرور الوقت كما أنها تشكّل هروباً جيداً.

ـ هروباً جيداً؟ نعم، أنت على حق. ربما تكون مجدية أكثر من الرياضة البدنية.

قال ذلك بصوت خافت. لكنها سمعت جملته الأخيرة وتساءلت عما يحاول أن يهرب منه. أتراها ذكريات زواجه؟

إذا كان ما تقوله أمه صحيحاً، فإن زوجته السابقة إذن كانت امرأة سيئة. ولكن لماذا تزوجها جاستين منذ البداية؟ فهو لا يبدو رجلاً أحمق أو عاجزاً عن مقاومة الإغراء.

فكرت راشيل وهي تتبع جاستين إلى داخل الطائرة، أن العلاقات

الزوجية هي حقل ألغام حقاً، ومعظم الزيجات تبقى غامضة بالنسبة للجميع ما عدا الزوجين. من الطبيعي أن تلوم والدة جاستين كنّتها لانفصالها عن ابنها، ولكن أتراها تعلم حقاً ما كان بين الزوجين؟ توقف جاستين فجأة والتفت إليها: «اجلسي في المقعد المجاور للنافذة، فأنا أفضل الجلوس في المقعد المحاذي للممر. إنه في الواقع يمنح مكاناً أكبر لساقي».

ـ شكراً.

جلست راشيل في المقعد المجاور للنافذة فهي تحب أن ترى إلى أين هي ذاهبة.

عندما استقرت في مقعدها أخرجت الكتاب من حقيبتها، ووضعت الحقيبة تحت المقعد، ثم قالت وهي تنظر من نافذة الطائرة إلى انهمار المطر على أرض المطار: «أرجو ألّا يكون الطقس ماطراً هناك أيضاً».

رفع جاستين عينيه عن الصحيفة: «الطقس جيد في ساحل الذهب حسب التنبؤات الجوية. تأكدت من ذلك قبل أن أغادر المكتب، فدرجة الحرارة هي سبع وعشرون درجة. وسيبقى الطقس كذلك خلال عطلة الأسبوع».

تنهدت بسعادة: «ما أجمل هذا».

عاد جاستين إلى صحيفته، فعادت هي إلى الكتاب الذي بدأت بقراءته في اليومين الماضيين. وسرعان ما انطلقت في عالم القصة الواسع البديع، وهكذا، لم تتنبه لها رؤية ذلك الرجل والمرأة التي ترافقه، اللذين صعدا إلى الطائرة بعدهما بفترة قصيرة. فلو أنها رأتهما لعرفتهما على الفور. كذلك فاتتها رؤيتهما مرة أخرى في مطار «كولانغاتا» وكان هذا سهلاً في الزحام. أما عند نقطة تفتيش الأمتعة، فقد شغلها الحديث مع جاستين ولم تنظر حولها إلى الناس الذين ينتظرون حقائبهم. وفاتتها رؤية هذين الشخصين مرة أخرى في ردهة فندق «حدائق الشمس» لأنها، حينذاك، توجهت على الفور إلى المصعد لتصل إلى شقتهما المطلة على البحر. وربما ما كانت راشيل

لتراهما على الإطلاق قبل موعد العشاء في الليلة التالية، وعند ذلك ستكون الكارثة أعظم، لولا أنها اكتشفت حين وصلت إلى باب شقتهما أن المفتاح الذي بحوزتها لا يعمل.

جرب جاستين مفتاحه فانفتح الباب. فقال: «لابد أن في مفتاحك عيب. سأتصل بالمكتب عندما ندخل ليحضروا لك مفتاحاً آخر».

فقالت: «لا. سأنزل بنفسي وأحضر مفتاحاً. أنت رأيت مبلغ انشغالهم».

ـ راشيل. أنت حساسة أكثر مما يجب.

ـ لا لكنني أفضل القيام بالعمل بنفسي، فذلك أسرع وأقل إرباكاً.

ـ هذا صحيح. وأنا مثلك كما أظن، لا أستطيع انتظار الأشياء. عندما أريد شيئاً، أريده الآن. وهذا ما جعلني أحضر الحقائب بنفسي بدلاً من تركها للحمّال. إذهبي إذن وسأضع حقيبتك في غرفتك ثم سأبحث عن أدوات صنع القهوة. أم تفضلين أن أسكب لك شراباً؟

ـ بل أفضل القهوة الآن، ولكن ليس عليك أن تصنعها.

ـ لا بأس في ذلك، فعلني أفيك بعضاً من خدماتك السابقة.

ـ جاستين، أنت حساس أكثر مما يجب.

قالت هذا ساخرة وهي تسرع مبتعدة، وابتسمت عندما سمعته يضحك.

عندما استقلت راشيل المصعد إلى الطابق الأرضي، لم يتملكها أي حدس أو شعور بالخطر... ولماذا يحدث هذا؟ انفتح باب المصعد وخرجت منه إلى الردهة متجهة نحو مكتب الاستقبال وهي تتأمل الديكور من حولها. ذكّرها هذا الفندق بمنتجع في إحدى الجزر ذهبت إليه مرة مع إريك؛ سقوف عالية، ألوان هادئة وجدران زجاجية تطل على حدائق مكتظة بالنباتات وسواقي الماء..

إريك!... إذا ما تجسدت الأنانية في أحد الرجال. في العالم، فهو هذا

الرجل لو كانت تعلم كم هو سطحي لما وقعت في غرامه منذ البداية، فكيف بموافقتها على الزواج منه؟ هزت رأسها لتنبذ هذه الذكريات. ما كان لها أن تفكر في إريك مرة أخرى... على الإطلاق. سارت نحو مكتب الاستقبال وإذا برجل يقف هناك مديراً ظهره نحوها، يذكرها بإريك بقوة. مع أنها رأته من الخلف فقط، فشعره الأشقر بلون الرمال بدا نفسه، الكتفين العريضتين نفسهما، والأناقة نفسها. كذلك السمراء الجميلة التي كانت تقف إلى جانبه بدت لها مألوفة هي أيضاً. أصغت إليهما راشيل وهما يتحدثان معاً أثناء انتظارهما، فإذا صوتاهما مألوفان لديها بشكل هائل. وفجأة، استدار الاثنان معاً.

***

www.elromancia.com

٤ ـ منبوذة، رغم جمالها

تركت الشقة في نفس جاستين تأثيراً جيداً منذ اللحظة التي خطا فيها إلى الداخل، فقد شعر براحة وبرودة منعشتين. كانت الشقة فسيحة تماماً وأمامها ردهة خاصة بها، وهو أمر غير مألوف في شقق الفنادق. وضع حقيبتيهما في الردهة بالقرب من المنضدة وألقى نظرة على انعكاس صورته في المرآة التي تعلوها. بدا شعره الذي يحتاج إلى قص، مشعثاً للغاية بتأثير الرياح التي هبت وهو يعبر ساحة مطار «كولانغاتا». استقام وأخذ يملس شعره إلى الخلف بكفيه، ثم اقترب بوجهه من المرآة، يحدق في الانتفاخ الذي يظهر تحت عينيه. إنه بحاجة إلى ثماني ساعات من النوم، كما أخذ يفكر وهو يستدير ليعلق مفتاح غرفة نومه بجانب الباب، ثم قام بجولة سريعة في الشقة.

أعجبه كل ما في الشقة، حتى اللون البرتقالي المتموج للجدران والأثاث أما المطبخ فقد طغى عليه اللون الأبيض، فالطاولة التي تتوسطه والأدوات والتجهيزات كانت كلها بيضاء، وكذلك الحمامات. شعر جاستين بالارتياح، فقد نال ما فيه الكفاية من ذلك الرخام الأسود البشع في مكتبه.

فكر في إعطاء راشيل غرفة النوم الرئيسية، لكنه أدرك أنها ستعترض، وهكذا وضع حقيبتها في الغرفة الأخرى التي تصغر غرفته قليلاً. كان لكل من الغرفتين باب يؤدي إلى الشرفة التي تمتد على طول الشقة، وتطل على مناظر جميلة. وقد بدا جمال هذه المناظر حتى من الداخل، فكيف سيبدو جمالها من الشرفة نفسها؟

قرر أن يجرب ذلك قبل أن يصنع القهوة، ولم يخب أمله. رأى منظراً

رائعاً يمتد أميالاً عن يمينه ويساره، فتلطحات السحاب تبدو واضحة عند الأفق، والبحر يخطف الأنفاس بجماله، حتى في تلك الساعة حيث غابت الشمس وأخذ الظلام يحل شيئاً فشيئاً. لا شك أن الشمس تبدو باهرة الضوء في الصباح الباكر عند شروقها من خلف الأفق، وسطوع أشعتها على النوافذ. ولكن عند العصر والمساء فإن الجلوس في الخارج يبدو رائعاً مع شراب بارد. وأمل أن تشاركه راشيل رغبته في الجلوس على الشرفة لأن المرء لايتمتع بهذا المنظر الجميل إذا كان وحده. سيسألها ذلك عندما تعود، وإذا ما أعجبتها الفكرة سيطلب من خدمة الغرف إحضار ما يرغبان به إلى هنا. وفيما بعد سيأخذها إلى أجمل مطعم لتناول العشاء. لاشك أن فندقاً فخماً كهذا لديه جدول بأسماء المطاعم الفاخرة في المدينة.

راشيل تستحق شيئاً من التدليل بعد كل ما عانته أثناء السنوات الماضية.

راح يتنشق هواء البحر المنعش لبعض الوقت، قبل أن يعود إلى المطبخ ليبحث عن معدات صنع القهوة. فجأة خطر في باله أن راشيل تأخرت. أتراها تأخرت لأن المكتب مزدحم أو لأنهم لم يجدوا مفتاح الغرفة؟ قرر أن يسألها عما حدث، ذلك أن غاي سيسأله عن رأيه في الخدمة في الفندق. وصل الإبريق بالتيار الكهربائي، وأفرغ مغلفات القهوة في الفنجانين. بدت القهوة من النوع الفاخر، وهذا أمر حسن، حسن جداً. فهو يكره الفنادق التي تقدم منتوجات رخيصة، وسوف يسأل راشيل عن نوع الشامبو والصابون وبقية التجهيزات المستخدمة في الحمام. فهو لا يستطيع تمييز الحسن من السيء في هذه الأمور، لكن المرأة تعرف. غاي على صواب في هذا المجال.

أخذ الماء بالغليان، وتردد جاستين، أيحضّر القهوة الآن أم ينتظر راشيل؟ في تلك اللحظة سمع قرعاً على الباب، فأسرع ليفتحه. كانت راشيل تقف عند العتبة، فبادرها بقوله: «لا داعي لتخبريني أنهم لم يجدوا

مفتاحاً آخر».

لكن راشيل بقيت مسمّرة عند الباب شاحبة الوجه، والغمّ بادٍ في عينيها وقد شبكت يديها أمامها. رغم أن جاستين لم يكن بالغ المهارة في الحدس، إلا أن تكدّرها بدا واضحاً للعيان، فهتف: «راشيل، مابك؟ ماذا حدث؟».

ـ أنا... أنا...

بدا واضحاً أنها لا تستطيع متابعة الكلام، وقد أخذ حلقها يتشنج وهي تجاهد للتحكم بنفسها.

ـ أدخلي.

أمسك بمرفقها وقادها إلى داخل الشقة فيما ظلت يداها مشتبكتين أمامها، وقد بدت كأنها على وشك البكاء أو الإغماء. دفع جاستين الباب خلفهما ليغلقه، ثم قادها إلى أريكة قرب التلفزيون، أجلسها عليها ثم جلس قبالتها على الطاولة الصغيرة. أمسك بيديها المتشابكتين بين يديه وسألها برقة: «راشيل. أخبريني بما حدث».

أطلقت ضحكة قصيرة فيها نبرة هستيرية: «ماذا حدث؟ إنهما لم يعرفاني، ذلك ما حدث. إنه لم يعرفني هل تصدق ذلك؟».

ـ من هو؟

ـ إريك.

ـ ومن هو إريك؟

فقالت بصوت مخنوق: «خطيبي. كان خطيبي حتى أخبرته أنني سأترك وظيفتي لأعتني بليتي».

وأخذت تهز رأسها وكأنها لا تصدق الوضع الذي وجدت نفسها فيه. وتابعت بصوت مرتجف: «ظننت أنني أعلم السبب الذي جعله يفسخ خطبتنا. ظننته لا يحبني بما يكفي ليساندني في قراري هذا، ولكن لم يخطر ببالي أن هناك امرأة أخرى، وأنها كانت هناك طوال الوقت، وأن تركي العمل لم يكن سوى عذر تمسك به ليتخلى عني».

ـ وما الذي جعلك تظنين أنه كان هناك امرأة أخرى حينذاك؟

أدهشته وهي تجيب بحقد لم يكن يتوقعه: «لأنني رأيت تلك العاهرة لتوّي. كانا معاً في مكتب الاستقبال، يحجزان غرفة».

ـ ومن هي...؟

سألها هذا عالماً أن تلك المرأة لا يمكن أن تكون صديقة راشيل الحميمة التي تمضي الآن شهر عسلها وراء البحار.

ـ إنها مندوبة شركة العقارات التي باعته الشقة الجميلة، تلك الشقة التي كان يفترض أن تصبح بيتنا الزوجي.

قالت هذا بمرارة، فقال: «فهمت. وهل هما متزوجان الآن؟».

ـ لا، بل يعيشان معاً. فهمت هذا من الحديث الذي سمعته في المكتب. يبدو أنهما جاءا لحضور «وليمة عطلة الأسبوع»، كما دعاها، من الواضح أن لذلك علاقة بوظيفتها.

ـ فهمت.

قال هذا مرة أخرى لأنه لم يتمكن من إيجاد الكلمات المناسبة ليهدئها، فهو يدرك تماماً مبلغ صعوبة الأمر بالنسبة إليها، ذلك أن جرح المشاعر مؤلم إلى حد كبير: «إسمعي. أنت لا تعلمين حقاً إن كان قد خرج مع تلك المرأة قبل أن يتركك، يا راشيل. أنت تستنتجين هذا فقط».

ـ لا، أنا لا أفعل هذا. الآن أعلم أنني على صواب. ساورني شك بالأمر في ذلك الوقت، لكنني تجاهلته، أقنعت نفسي بأن تلك النظرات الحميمة التي كانت تمرّ بينهما، هي من نسج خيالي فقط. كذلك الأعذار الكثيرة التي كان يختلقها لكي يجتمع بها في الشقة عندما أكون أنا مشغولة في العمل... إريك هو محامٍ كبير ويمكنه أن يأتي ويذهب كما يشاء.

ـ لا بأس. إذن هو جرذ يخون حبيبته! ما هي القضية الآن؟ هل.. لازلت تحبينه؟ بعد أن... منذ حتى حدث ذلك؟

ـ منذ أربع سنوات تقريباً.

ـ لو حدث ذلك منذ سنة أو سنة ونصف... لأمكنني أن أفهم لما أنت متكدرة بهذا الشكل.

قال ذلك لأن مشكلته هو مع زوجته مر عليها مثل هذا الوقت.

ـ الحب لا يتوقف عندما تشاء أنت، يا جاستين. مع أنني لم أعد أحب إريك، لكني لست عديمة الإحساس لأسرّ برؤيته مع امرأة أخرى بهذا الشكل. في الواقع كدري تضاعف لأنهما، هما الإثنين، لم يعرفاني!

وأنهت كلامها بشهقة مختنقة. شعر جاستين بالعطف والتفهم نحوها عندما أدرك ما الذي تقصده، فألمها لم يكن فقط بسبب خيانة إريك السابقة لها، ولكن لأنه لم يعرفها.

كان جاستين يفهم جيداً ذلك النوع من الإذلال، فهفا قلبه إليها، وحاول أن يخفف عنها: «ربما لم ينظر إليك حقاً. ربما كان فكره منشغلاً في مكان آخر».

ـ ليت الأمر كذلك، ولكن لا. فقد اصطدم بي عندما استدار مبتعداً عن المكتب، وكاد يوقعني أرضاً. حتى إنه أمسك بكتفي ونظر إليّ مباشرة لثانية أو اثنتين، ورآني جيداً ولكن لم يظهر عليه أبداً أنه عرفني. كما أنها هي أيضاً لم تعرفني، لكنني لا ألومها حقاً، فهي لم تعاشرني جيداً. فقد تقابلنا مرتين فقط. وأنا أعلم أنني تغيرت كثيراً. ولكن كان على إريك أن يتذكرني فقد كنا.. حبيبين.

ـ هل قلت له شيئاً؟ ناديته باسمه؟

فارتجفت: «أتحدث إليه؟ لا. بل هربت إلى استراحة السيدات في الردهة. وبقيت هناك إلى أن تأكدت أنهما غادرا المكان إلى الطابق الذي يسكنانه. وهذا ما جعلني أتأخر».

فكر جاستين أن ما جعلها تتأخر في الحقيقة، هو الوقت الذي أمضته هناك وهي تبكي وتنظر إلى المرآة لترى ما الذي رآه إريك فيها، وما لم يره.

ـ أتظنين أنه... ربما يتظاهر بأنه لم يعرفك؟

ـ لا. لم يبدُ في عينيه شيء كهذا بل مجرد فراغ. إنه لم يعرفني.

ـ هل تغيّرت إلى هذا الحد في أربع سنوات، يا راشيل؟

هبطت كتفاها وغامت عيناها خلف تعاسة بالغة: «أظنني كذلك».

ـ والآن، ماذا تريدين أن تفعلي؟

سألها وقد شعر بإحباط لإدراكه أن هذه العطلة الأسبوعية لن تكون سعيدة مريحة كما تخيّلها.

ـ بشأن ماذا؟

ـ لنفترض أنهما مدعوان إلى العشاء مساء الغد، ولا بد أنها الحفلة التي سمعتهما يذكرانها.

ملأ الذعر وجهها لهذا الاحتمال، فقال بسرعة: «أنت لست مضطرة للذهاب».

ـ هل أنت واثق؟... أعني... لا أريد أن أخذلك لكنني... لا أظنني أستطيع احتمال ذلك، ربما يعرفني إريك بعد أن أصلح مظهري قليلاً. أو قد لا يعرفني. وفي الحالتين، سأشعر بالتوتر بشكل فظيع. بالإضافة إلى ذلك، سأكون فاشلة للغاية، وقليلة القدرة على الملاحظة.

ـ لا بأس يا راشيل، صدقيني. سأذهب وحدي.

ترك يديها ثم انتصب واقفاً.

رفعت نظرها إليه فأدرك أن عينيها العسليتين جميلتان تماماً. كيف لم يميّزها ذلك الأحمق، فقد كان حبيبها ذات يوم؟ فالعيون لا تتغيّر أبداً. كم من المرات حدّق إريك هذا في عيني راشيل عندما كانا معاً؟

يا لجهنم! لازالت عينا ماندي الجميلتان مطبوعتين في ذهنه! أطلق تنهيدة محمّلة بشتى أنواع للشاعر.

ـ سأذهب لأنهي تلك القهوة.

ـ يا لك من رجل طيب للغاية!

ثم انفجرت باكية.

كتم جاستين برهة أنفاسه في صدره ثم جلس إلى جانبها وأخذها بين ذراعيه، واضعاً وجهها الباكي على صدره. ثم قال برقة وهم يمرّ بيده على ظهرها: «لا يمكن لرجل محترم ألّا يكون طيباً معك يا راشيل. لابد أن إريك ذاك من حثالة البشر، ومن الأفضل لك ألّا تكوني معه».

فقالت وهي تشهق: «أعرف هذا. لكنني مازلت أتألم عندما أراه مع امرأة أخرى».

ـ أعرف هذا.

تمتم بذلك مخففاً عنها. وراح يفكر أن الله وحده يعلم ما الذي يمكن أن يفعله لو أنه رأى ماندي مع ذلك السافل الذي سرقها منه. إنهما لا يستحقان أن يقتلهما. قال لها من دون أن يصدق نفسه تماماً: «ربما كانت رؤيتك له بهذا الشكل أمر جيد، فقد يحفزك هذا لأن تنسيه نهائياً ثم تستمري في حياتك. وعلى كل حال حياتك ليست بالغة السوء الآن، أليس كذلك؟ لديك وظيفة تحبينها ورئيس جيد».

وأضاف ساخراً: «أو هذا ما قلته أنت على الأقل».

وأكمل يقول: «وقريباً ستظفرين بوظيفة أفضل بأجر أكبر، ما سيوفر لك مسكناً أفضل تماماً تعيشين فيه وحدك. ماذا تريدين أكثر من ذلك؟».

فتمتمت ووجهها لازال مدفوناً في صدره: «أن أعود جميلة».

أمسك جاستين بيديها ليبعدهما عن وجهها، ثم رفع رأسها فتقابلت عيونهما وقال برقة: «أنت مازلت جميلة يا راشيل. ذلك الجمال الداخلي الحقيقي».

فقالت بأسى: «حسناً، المعذرة إن كان مدحك هذا لا يشعرني بأي حماسة. لأن ذلك الجمال الداخلي لا يلقى الاهتمام الذي يستحق، خصوصاً من الجنس الآخر».

ـ ليس الرجال كلهم سطحيين مثل رجلك إريك.

ـ هل الأمر كذلك حقاً؟ هل يمكنني أن أوجّه إليك سؤالاً شخصياً؟

ـ بالتأكيد.

ـ ألم تكن زوجتك السابقة رائعة الجمال؟

فتح جاستين فمه ثم عاد فأطبقه. كانت ماندي ذات جمال مدمّر، من دون شك؛ وجهها جميل جداً. عيناها زرقاوان واسعتان وشعرها أشقر طويل، وجسدها رائع. وهي امرأة تعرف تماماً كيف تبرز جمالها، من قمة رأسها ذي الشعر الأشقر اللامع حتى أظافر قدميها المصبوغة بلون وردي. أما راشيل، فهي أبعد ما تكون عن تدمير أي شيء، ومع ذلك لم تكن قبيحة، ولا يمكن أن توصف بأنها امرأة عادية. فهي، بالإضافة إلى عينيها الجميلتين، ذات ملامح متناسبة في وجهها البيضاوي وفم مشوّق. ولاحظ جاستين بعد أن كلّف نفسه عناء النظر إليه بإمعان، أن فمها كبير مرتفع عند جانبيه، وأن شفتها السفلى ممتلئة للغاية.

كل ما في الأمر أنها تبدو شاحبة جداً، أشبه بصورة حالت ألوانها بشكل سيء. والبذلة السوداء التي ترتديها دوماً، تبعث الملل البالغ في النفس، وكذلك حذاؤها الأسود ذو الكعب المتوسط الإرتفاع. أما بالنسبة إلى شعرها... لم يستطع التفكير في شيء جميل يقوله عن شعرها... ماعدا أنه سيبدو أجمل من دون ذلك اللون الأحمر. لكن راشيل قالت بإيجاز وهي تقف: «أُقفلت القضية. رباه، يتملكني شعور فظيع. لابد أنني أبدو فظيعة أيضاً. أظن من الأفضل أن أستحم وأغير ملابسي. أين هي غرفتي؟».

ـ وماذا عن القهوة؟

ـ شكراً، لكنني لا أشعر برغبة فيها حالياً.

فكّر أنه هو أيضاً لم يعد يرغب بشرب القهوة الآن. كما أن الطعام يبدو فكرة حسنة. لقد تقدم الوقت وهو لم يأكل شيئاً منذ الإفطار سوى ذلك الطعام الخفيف على الطائرة. من المؤكد أن راشيل لم تتناول الغداء هي أيضاً، ولا عجب في نحولها البالغ هذا. لكنها ليست نحيلة إلى ذلك الحد. أدرك ذلك عندما كان يحتضنها..

ـ الاستحمام وتغيير الملابس فكرة جيدة.

قال هذا موافقاً، وقد صمم ألّا يمضي بقية عطلة الأسبوع مرتدياً بدّلة. يكفي أنه مضطر لارتداء سترة أثناء العشاء في الليلة القادمة: «غرفتك إلى اليمين من الردهة والحمام إلى جانبها وقد تركت حقيبتك أسفل السرير. أنا سأدخل الحمام أيضاً، لكنني قبل ذلك سأطلب طعاماً لنا من خدمة الغرف، مادام خروجنا للعشاء في الخارج الليلة أصبح مستحيلاً الآن. فأنت لا تريدين أن تتواجهي مع رجلك المخلص ذاك وحبيبته. ثم، إياك أن تقولي مرة أخرى كم أنا رجل طيب».

منحته ابتسامة باهتة: «لا بأس».

فقال مشيراً إليها بالذهاب: «هيا، اذهبي».

وعندما ذهبت سار إلى المكتب حيث وجد ملفاً يحتوي على قائمة الطعام، مرّ بنظره عليها بسرعة ثم صمّم على طلب طبق كبير يحتوي على طعام بحري متنوع مع السلطة. وطبق من ثمار الفريز مع القشدة، بالإضافة إلى زجاجة من العصير. وصل العشاء بعد نصف ساعة وكان جاستين قد استحم ولبس بنطلوناً قصيراً كاكي اللون وقميصاً رياضياً أحمر داكناً، وراح يسير في الشقة بقدمين حافيتين، شاعراً بالسعادة. فتح الباب للنادل الذي أحضر الطعام. ثم وضع الطعام في الثلاجة. وبعد أن خرج النادل مع البخشيش، جلس ليفتح زجاجة العصير، ثم أخذ يتمشى في الردهة بانتظار خروج راشيل ليتمكنا من تناول العشاء معاً. وكان قد سمع صوت الدوش يتدفق عندها لفترة طويلة.

ـ ألم تنتهي بعد يا راشيل؟

سألها وهو يقف بين غرفتيهما من دون أن يعلم في أية غرفة هي.

فأجابته من داخل غرفة النوم: «ليس تماماً».

ـ ماذا تعنين بقولك: «ليس تماماً»؟

ـ لدي مشكلة صغيرة.

ـ وما هي؟

ـ غسلت ملابسي الداخلية قبل الاستحمام ولم أدرك أنني نسيت إحضار سواها معي؟

بذل جاستين جهداً كبيراً كيلا يضحك: «لا بأس في ذلك. إلبسي ثوب الحمام في الوقت الحاضر. ستنشف حتى الصباح فتخرجين غداً لتشتري مزيداً منها».

ـ ولكن...

ـ ماذا؟ لا تقولي بأنك نسيت إحضار روب أيضاً.

ـ لا، لا، لدّي روب لكنه...

ـ ماذا؟

ـ لا شيء. أظنني حمقاء إذ أقلق لذلك.

ـ إلبسيه إذن واخرجي إلى هنا.

ـ لا بأس... سوف.. بعد لحظة، فقط.

ـ سأنتظرك على الشرفة ولا تتأخري فلا أحب الجلوس على الشرفة وحدي.

استلقى جاستين على الأريكة في الشرفة وهو يفكر أن الحياة ليست سيئة، رغم كل شيء. سمع صوت الباب الزجاجي في غرفة راشيل ينفتح فالتفت إليها في الوقت الذي كانت تخرج إلى الشرفة. حاول جهده كي لا يبدي ردة فعل أو يحملق فيها. لكن ذلك كان صعباً للغاية. فقد كانت ترتدي رداءً من حرير الساتان الذي يلتصق بالجسم تماماً، أخضر اللون مثيراً للغاية، ورغم أن كميه يصلان إلى مرفقيها، وطوله يصل إلى كاحليها، وقد أحكمت لفّه حول جسمها، إلا أنه كان يبرز تماماً تفاصيل جسدها بتقاسيمه المدهشة.

كان جسدها بأكمله متناسقاً للغاية. ما أغرب ما كان مختبئاً داخل تلك البذلات السوداء الفظيعة التي تلبسها في المكتب! وما أغرب ما يخفيه طراز

شعرها الفظيع ذاك أيضاً! أما الآن وقد انسدل على كتفيها بخصلاته المجعدة، فهي تبدو أصغر بسنوات عدة. ويبدو أن سخونة الماء قد أضفت على بشرتها لوناً ورديا هي في أشد الحاجة إليه، ما أعطى جاستين فكرة عما ستبدو عليه بمساعدة بعض أدوات التجميل. قد لا تكون راشيل ملكة جمال، لكنها بالتأكيد أجمل بكثير مما تبدو عليه في ثيابها الرسمية المتزمتة. بل يمكنها أن تكون كالأسطورة جمالاً إذا ما ارتدت ثوباً مناسباً لجمال جسدها هذا. عندما اتجهت نحوه، انكشف الرداء عند ركبتها، مظهراً قميص نوم طويلاً تحته. حاول ألّا يحدّق فيها كثيراً وإلا تملّكها الإحراج دون شك.

لكن ملابسها بدت مثيرة للغاية وليست من النوع الذي يتوقع أن تستعمله راشيل. ومع ذلك، فإن رؤيته لها في هذه الملابس، منحته فكرة عنها قد تداوي بعض جروح كبريائها وتمنحه هو رضى شخصياً. فقد شعر بالاشمئزاز من تصرفات إريك ذاك، لما فعله بهذه المرأة الحلوة. ألا يكفي نبذه لها حتى يأتي الآن فلا يميزها؟

لا شك أن راشيل كانت عدوة نفسها بالنسبة إلى مظهرها. من الواضح أن بإمكانها الظهور بشكل أفضل كثيراً مما تبدو عليه كل يوم. إذا قبلت ما سيقترحه عليها، فستحضر معه العشاء مساء الغد، ولا شك أن إريك ذاك سيميّزها حتماً. وهكذا لن يكون على راشيل أن تختبىء في استراحة السيدات مرة أخرى لتبكي ذلّها وكرامتها المجروحة. بل سترفع رأسها عالياً بصحبة أي شخص وتري خطيبها السابق أي غلطة اقترفها في نبذه لها. وهي غلطة كبرى! تماماً كالغلطة التي اقترفتها ماندي في نبذها لك. وهل تريد أن تنتقم هنا لأجل راشيل أم لأجل نفسك؟ جاءته هذه الفكرة الغامضة اللاذعة، فتملكه الغضب. ماندي.. دوماً يعود به تفكيره إلى ماندي!

* * *

٥ ـ لست رئيسك، بل حبيبك

رأت راشيل عبوس جاستين المفاجىء، فتوقفت عن التقدم نحوه. لم تهتم بدهشته حين رآها بهذه الملابس، فالدهشة أمر طبيعي، لكن العبوس كان شيئاً آخر. فقالت: «أظن... أظن من الأفضل أن أعود لأرتدي شيئاً آخر، ملابسي هذه ليست لائقة، أليس ذلك؟».

ـ كلا، بكل تأكيد!

هتف بذلك، ثم أذهلها بقوله ضاحكاً: «لا، لا، ليس هذا ما قصدته. قصدت أن لا داعي لتعودي وتغيري ملابسك. تبدين ممتازة كما أنت الآن. يالله السماء، يا راشيل، فالملابس التي ترتدينها تبدو أكثر احتشاماً مما ترتديه أكثر الفتيات السائرات في الشارع هنا. إجلسي وخذي بعض العصير».

ثم ناولها كوبها.

ـ نعم، شكراً.

شعرت أنها بحاجة ماسة للجلوس. فقد أحست كأن المسافة القصيرة التي قطعتها على الشرفة بمثابة مليون ميل، بسبب ما تملكها من حرج.

بدا الوضع كله محرجاً، خصوصاً نسيانها إحضار ملابس داخلية. حملت كوبها بيديها الاثنتين لتمنعهما من الارتجاف، ثم أخذت رشفة: «إنه لذيذ».

فقال باسماً: «يجب أن يكون كذلك، لكنه يقدم إلينا مجاناً ككل شيء هنا. حسب قول غاي. وأنا أنوي أن استغل هذه الفرصة وأنت أيضاً

عليك أن تفعلي ذلك. وهذا يعطيني فكرة. انتظري هنا».

ووضع الكوب من يده ووقف: «لن أتأخر».

ثم أسرع إلى الداخل تاركاً راشيل تنظر في أثره. بدا لها غريباً أن ترى رئيسها مرتدياً قميصاً مشرق اللون وبنطلوناً قصيراً، ويسير حافي القدمين. كانت تعلم أنه يمارس الرياضة ويعرض جسمه للشمس ليكتسب اللون الأسمر، لكنها لم تره من قبل إلا مرتدياً بذلة العمل الرسمية، التي تغطي معظم أجزاء جسمه. أما الآن، فقد لاحظت أنه يتمتع بلون أسمر جذاب. حتى قدماه الحافيتان، كانتا سمراوين، ما جعلها تتساءل عما يفعله هذا الرجل ليكتسب كل هذه السمرة؟ وهو الذي يرتدي الحذاء والجورب طوال الأسبوع. أتراه يستلقي على أحد الأرائك في غرفة الرياضة ليعرض جسمه لأشعة الشمس أم يكثر من السباحة في أحواض السباحة الخاصة؟ إذا كان كذلك، فأين يقوم بذلك؟ تعلم راشيل أنه يسكن شقة فخمة في أحد المباني الواقعة على الشاطىء في «كيري بيللي»، وهكذا قد يكون لديه بركة سباحة خاصة كما هي العادة في هذا النوع من الشقق الراقية.

ـ هذا ما ظننته.

قال جاستين هذا وهو يعود إلى الشرفة، حاملاً في يده ملفاً جلدياً أسود: «لديهم صالون للتجميل في هذا الفندق».

كررت راشيل قوله من دون أن تفهم قصده: «صـ... صالون تجميل؟».

ـ نعم. ما إن رأيتك ترتدين هذا الثوب الأخضر الرائع، وشعرك مرسل على كتفيك، حتى أدركت أنك جميلة جداً لكنك تخفين جمالك هذا. ألم يخبرك أحد من قبل أن اللون الأسود لا يناسبك؟ كذلك طراز شعرك! فلديك جسد رائع للغاية، وأنت تخفينه تحت ملابس العمل. بطراز شعر مختلف، وبعض الزينة مع ملابس مناسبة، يا راشيل، يمكنك أن تبدي أكثر من مجرد حسنة المظهر. ستبدين رائعة!

ـ ولكن...

ـ ولكن ماذا؟

ـ ظننت أنك لا تريدني أن أبدو رائعة، خصوصاً أثناء العمل.

ـ ماذا؟

ـ أخبرتني أمك عن سكرتيرتك السابقة قبل أن تخبرني أنت عنها بمدة طويلة.

فقال مكشراً: «آه، يا إلهي، هل فعلت ذلك حقاً؟».

ـ نعم.

فقطب جبينه: «وهكذا تعمّدت أن تظهري نفسك عادية بعيدة عن الجمال لكي تحصلي على الوظيفة».

وفكرت راشيل بحيرة أن الأمر ليس كذلك تماماً. كل ما في الأمر هو أنها بقيت على طبيعتها فهي لا تتمتع بالجمال أبداً، لكنها لن تقول له هذا، فمن الأفضل أن يعتقد جاستين بأنها كانت تخفي محاسنها. ولم تعرف ما تقول: «حسناً...».

ـ آه، يا راشيل، راشيل، لم تكوني مضطرة إلى ذلك. كنت سأعطيك الوظيفة، على كل حال، لأنني رأيت منذ البداية أنك لا تشبهين تلك الفتاة الأخرى على الإطلاق. لم يكن الأمر يتعلق بملابسها، بل بتصرفاتها. لقد قادتني إلى الجنون.

ـ إذن فأنت لا تعترض إذا أنا أصلحت مظهري أثناء العمل.

ـ ولماذا أعترض؟

ـ لطالما خفت إن أنا جئت إلى العمل بطراز جديد للشعر والملابس أن تظنني...

ـ تتزينين لأجلي؟

فأجابت بخجل: «نعم».

فضحك: «ما كنت لأظن هذا قط بك، يا راشيل الغبية».

www.elromancia.com

حاولت راشيل ألّا تشعر بجرح في كرامتها، لكنها كانت كذلك فعلاً.

نعم، غبية... راشيل الغبية!

وتابع يقول: «وهذا يجعلني أعود إلى اقتراحي الأساسي الآن، وهو أن تذهبي غداً إلى صالون التجميل ذاك، لتحصلي على كل ما تحتاجين إليه من زينة الوجه والتدليك وطلاء أظافر اليدين والقدمين إلى تصفيف الشعر. يقولون إنهم يقومون هنا بكل شيء».

- يبدو لي هذا مبالغة لا ضرورة لها.

- لا، بل هو ضروري.

فأسرعت تقول بغضب: «آه، شكراً جزيلاً».

- والآن، لا تأخذي المسألة بهذه الحساسية، يا راشيل. الحقيقة هي أنك أهملت نفسك حتى أصبحت عادية تماماً. يمكنني أن أفهم عدم اهتمامك بمظهرك عندما كنت تمضين أوقاتك كلها في البيت، لكنني أراهن أنك كنت قبل ذلك، وككل النساء، تهتمين بتصفيف شعرك وزينتك وملابسك.

- حسناً....

- حسناً ماذا؟

- دوماً كنت أخاف من عدم النجاح في دخول المباراة النهائية في سكرتارية العام بمهارتي وحدها.

- لا أشك في ذلك، أراهن على أنك كنت حينذاك محطّ الأنظار.

- كنت... جذابة.

- ولم تكوني ترتدين اللون الأسود.

- ليس كثيراً.

- كيف كنت تصففين شعرك؟

- أتركه مسترسلاً متألقاً بلونه البني المائل للحمرة.

- لا عجب في أن الناس الذين عرفوك في الماضي لا يميزونك الآن. لكن إريك سيميّزك غداً تماماً. إريك «الهجين».

فشهقت: «إريك «الهجين»؟».

- نعم. هذا هو اللقب الذي أطلقته عليه. هل أعجبك؟

- آه، نعم، جداً.

- إذن ستأتين إلى الحفلة معي؟

ابتلعت ريقها. ستكون بحاجة إلى كل ذرة من الشجاعة لكي تتمكن من مواجهة إريك ورفيقته مرة أخرى، حتى ولو تزينت كالدمية. لكنها ستذهب.

- نعم.

قالت هذا فابتسم: «رائع».

أخذ جاستين يروح ويجيء في غرفة الجلوس منتظراً بصبر فارغ، أن تخرج راشيل من غرفتها، فقد بقيت مختبئة فيها منذ عودتها من صالون التجميل حوالى الساعة الخامسة. في تلك الساعة كان هو في الحمام، يحلق ذقنه، وها هي ذي الساعة الآن تقترب من السابعة، وقد ارتدى بذلة السهرة وأصبح جاهزاً للنزول إلى حفلة الكوكتيل التي تسبق العشاء في الثامنة. وراشيل تعرف بشأن هذا الترتيب تماماً فقد تحدثا عنه الليلة الماضية. وهكذا، ما إن تجاوزت الساعة السابعة من دون أن تظهر راشيل، حتى تقدم نحو غرفتها وقرع الباب بحزم: «كفى تأنقاً يا راشيل. تجاوزت الساعة السابعة وقد حان الوقت لتواجهي العاصفة».

فأجابت بلهجة ملؤها التوتر: «أنا قادمة».

ما إن فتح الباب ودخلت منه، حتى اتسعت عينا جاستين الزرقاوان دهشة: «آه، يا راشيل. أنت لا تبدين عظيمة فقط، بل أنت أسطورة!».

بدا ذلك الوصف أقل مما تستحق فعلاً. أين ذهبت سكرتيرته الخالية من كل جمال؟ فقد وقفت مكانها مخلوقة، مدهشة... لا بل مذهلة، لا بل مخلوقة، مدهشة، مذهلة وجذابة للغاية. وقف جاستين يحدق فيها، محاولاً أن يفهم ما الذي فعلته لكي تتغيّر بهذا الشكل. لا يمكن أن يكون ذلك

www.elromancia.com

متوقفاً على شعرها رغم أنه كان مختلفاً تماماً. كما لاحظ بجفاء ساخر، إنه شديد الاحمرار. وهو منسدل على كتفيها على شكل طبقات، محيطة بوجهها وعينيها. أما عيناها الجميلتان فقد بدتا الآن ليس أجمل فقط بل أوسع! هل هو تأثير الكحل أم هو تغيير غامض من نوع مختلف؟ وعلى كل حال، عندما نظر جاستين إلى وجهها، لم يستطع إبعاد نظره عن عينيها. بادلته النظرات بتردد يمزّق الفؤاد. بدا واضحاً أنها لا تدرك حقاً كم أصبحت جميلة، بل رائعة بشكل لا يصدّق. سألته: «هل تعتقد هذا حقاً؟ ألا تظنني أبدو... حمقاء؟».

ردّ عليها غير مصدق: «حمقاء؟ ولماذا تبدين حمقاء؟».

ـ أولاً، لون شعري يزعجني. إنه شديد الحمرة.

قالت هذا وهي تلمس شعرها باحتراس بأظافرها التي تماثله حمرة. فقال يطمئنها برقة: «عزيزتي، سيكون لشعرك هذا تأثير مدمر على الرجال».

احمّر وجهها بشكل جميل: «آه... ولكن ألا تظن أنهم وضعوا أصباغاً كثيرة على وجهي؟ إنني أبدو كالشبح».

ـ لا، لا أظن، إنها الموضة الآن. أتعلمين أن ثوبك هذا، أجمل ثوب وصيفة عروس رأيته حتى الآن».

قال هذا وهو يهز رأسه مجيلاً نظره في الثوب. وهو ثوب حريري فيروزي اللون، يظهر جمال صدرها ونحافة خصرها إلى درجة الكمال. أما تنورته فمتناسقة تصل إلى بطة الساق، وقد انتعلت حذاءً مرتفع الكعب، فيروزي اللون أيضاً، مفتوحاً من الأمام ليكشف عن أظافر قدميها ذات اللون القرمزي. وكانت تفوح منها رائحة خفيفة لعطر الياسمين، ربما من الزيت الذي دُلكت به بشرتها. وبدت ذراعاها بمثل نعومة ولمعان ساقيها، ربما نتيجة تدليك جسدها بأكمله. فكر جاستين أن صالون التجميل ذاك يستحق وساماً للمعجزة التي قام بها في نهار واحد، لكنه طبعاً لن يخبر راشيل برأيه هذا فهي بالرغم من مظهرها الجديد الرائع، لازالت غير واثقة من

نفسها، وهنا تكمن المشكلة. لأنه إذا كان يتطلّع إلى تلقين ذلك الرجل الكريه الدرس الذي يستحقه فهو بحاجة إلى مساعدة كاملة من راشيل لكي ينجز ذلك. ومن الواضح أن ثقتها بنفسها مازالت بحاجة إلى دعم.

ـ تبدين في حالة ممتازة لتكوني ضيفة على مائدة العشاء، يا راشيل. ستتملك إريك الهجين غيرة مدمرة مني عندما أدخل إلى قاعة الطعام متأبطاً ذراعك.

فقالت وهي تنظر إليه من أعلى إلى أسفل: «أظن صديقته هي التي ستغار مني».

دهش جاستين لتعليقها، ولكن سرّه أنها تراه جذاباً، فهذا يسهّل عليه خطته لهذه السهرة: «نعم، نحن الإثنان نبدو بمظهر لا بأس به، أليس كذلك؟ هيا بنا، لنذهب ونلقن الأشرار درساً. هل لديك حقيبة يد؟».

ـ لا.

ـ لا بأس، فنحن لن نخرج من الفندق، وبالتالي لن يشعث شعرك. إذا شعرت بحاجة إلى تعديل زينتك يمكنك الصعود إلى هنا في أي وقت، فالمفتاح سيكون معي.

ـ نعم، سأحتاج إلى المجيء بعد العشاء، فأنا دوماً أفسد أحمر الشفاه أثناء تناول الطعام، رغم أن الفتاة التي وضعت لي الماكياج قالت إن أحمر الشفاه هذا لا يزول بسهولة، فهو من النوع الذي تستعمله الممثلات أثناء تأدية أدوارهن.

ضحك جاستين وهو يدفع راشيل بخفة نحو الباب: «من الجيد أنك أخبرتني بهذا فهكذا سأطمئن، إذا ما اختفيت تحت غطاء المائدة في أي وقت، الليلة، إلى أن مظهرك سيبقى حسناً».

بدت راشيل مصدومة فقال بفروغ صبر: «هيّا، يا راشيل، حاولي أن تنسجمي مع روح هذه المناسبة. وتذكري أنني لست رئيسك فقط هذه الليلة بل حبيبك أيضاً».

فوقفت مجفلة: «ماذا؟».

فقال وقد فوجىء من ردّ فعلها: «ظننتك أدركت أن هذا جزء من خطتي. إسمعي، كيف ننتقم من إريك الهجين إذا لم نجعله يعتقد أننا متحابان للغاية؟ نريده أن يعتقد بأنك لم تفتقديه لحظة واحدة، وأنك نسيت قسوة هجره لك. وقد أديت واجبك نحو ليتي كالملاك. وأنت الآن تعيشين حياة أجمل كثيراً مما لو تزوجته. تبدين أجمل من أي وقت مضى كما تعيشين في منزل بالغ الفخامة والجمال في حي «تورامورا»، ولديك هذه الوظيفة الجيدة مع رئيس ناجح وسيم قد سلبته عقله بحيث لا يمكنه إبعاد يده عنك».

ـ ولكن... لكنني لا أحب أن يكون لي رئيس بهذا الشكل.

ـ ربما أنت لا تحبين ذلك، ولكنه حلم بعض الرجال والنساء. ثقي بي بهذا الشأن. هذا ما يناسب إريك الهجين.

ـ عليك أن تتوقف عن تسميته بهذه الصفة وإلا أخذت أضحك طوال الليل.

ـ لابأس في ذلك. فالضحك مفيد جداً.

ـ ولكن ليس بالنسبة إليّ.

ـ لم لا؟ يمكنك أن تقومي بما تريدينه الليلة. وهكذا ستجعلين خطيبك السابق يرى أنه لم يكن يعرفك على الإطلاق، هذا إذا كان عرفك حقاً من قبل، ثم تجعلينه يرغب بك كالمجنون.

ـ لا... لا أظن...

ـ والآن، لا تفكري في كلمة لا، هذه الليلة. فالتردد أمر سيء جداً. إتبعي إرشاداتي يا حبيبتي، وكل شيء سيصبح على ما يرام.

وعندما أخذ ذراعها شعر بمقاومتها فنظر إليها مستفسراً فبادلته النظرات قائلة: «دعوتني حبيبتك».

ـ حسناً، أنا لن أدعوك راشيل طوال هذه الليلة، لأن ذلك يدل على عفة

غير مطلوبة. حسناً، فلندع كلمة «حبيبتي»، ما رأيك بكلمة «غاليتي»؟ حسناً، ذلك أفضل. هيا بنا يا غاليتي «سندريلا». حان الوقت للذهاب إلى الحفلة.

وابتسم بكآبة.

* * *

www.elromancia.com

٦ ـ نعم، سيدي الرئيس

وقفت راشيل إلى جانب جاستين في المصعد، بصمت، وقد تملكها التوتر. كيف يمكنها أن تقوم بهذا الدور التمثيلي؟ إنه... فوق استطاعتها. قد يكون مظهرها الخارجي جيداً، لكنها في الداخل، مازالت هي نفسها راشيل التي اصطدمت بإريك أمس فتملكها الخوف وهربت كالفرس الفزعة. التفكير في مواجهة خطيبها السابق مع حبيبته الجديدة كان يملؤها خوفاً حتى الغثيان.

ـ أنا لا... لا أستطيع القيام بذلك، يا جاستين.

همست بذلك عندما توقف بهما المصعد عند أحد الطوابق قبل متابعة طريقه إلى الردهة في الطابق السفلي. فقال يطمئنها بحزم: «بل تستطيعين».

وإذا بباب المصعد ينفتح، حيث كان مصدر خوفها ينتظر. انكمشت راشيل بحدة. فهمس جاستين: «أظنه إريك الهجين».

ـ نعم.

أجابته بصوت مخنوق، لكنها هذه المرة لم تشعر على الإطلاق بالرغبة في الضحك من هذا اللقب الساخر بل صفة إريك الرائع كانت أقرب إلى الحقيقة. فإريك لازال يسلب اللب بفتوته ووسامته وخصوصاً في بذلة العشاء. ولم يكن مظهر شارلوت يقل عن مظهره تألقاً، والسنوات التي مرت لم تزدها إلا جمالاً. فهي طويلة ورشيقة كأنها عارضة أزياء، وبدت أنيقة جداً بتسريحة شعرها البني القصيرة وثوبها الأسود.

ـ هيا يا شارلوت!

خاطبها إريك بفروغ صبر وهو يتقدم ويمسك بباب المصعد ليمنعه من الانغلاق، من دون أن يلقي نظرة على من فيه، استدارت شارلوت من أمام مرآة الردهة حيث كانت تطمئن على مظهرها وزينتها. وهي تقول: «لا بأس، هذه الأشياء لا تبدأ أبداً في الموعد».

وعندما مرّت بإريك إلى داخل المصعد، نظر هذا الأخير من فوق كتفها، ليلحظ أخيراً راشيل واقفة في الزاوية، وهذه المرة عرفها على الفور، فبدت عليه صدمة قوية وهو يهتف: «يا إلهي! إنها راشيل. أنت تتذكرين راشيل، يا شارلوت! راشيل ويذرسبون».

فيما بعد، أخذت راشيل تتساءل من أين جاءتها كل تلك الشجاعة وضبط الأعصاب! ربما من مظهر الدهشة على وجه تلك العاهرة وهي تتفحص راشيل من رأسها حتى قدميها. وقالت شارلوت: «هكذا إذن، ما أعجب أن أراك هنا، من بين كل الناس».

وسرعان ما تحوّلت عيناها السوداوان بشكل وقح نحو جاستين. النساء أمثال شارلوت لا ينظرن طويلاً إلى النساء الأخريات عندما يكون هناك رجال جذابون. أما إريك فظل يحدّق فيها وكأنها مخلوق أخضر صغير هبط من المريخ. أجابت راشيل بكبرياء وبرودة: «كنت أفكر في الأمر نفسه عنكما. أظنكما معاً أليس كذلك؟ هذا رئيسي جاستين ماكارثي».

وتابعت قبل أن تترك لهما مجالاً للرد: «جاستين هذان من أصدقائي. إريك فارمر وشارلوت... آسفة. لا أتذكر اسمك الثاني، يا شارلوت؟».

ـ ريبر.

ـ آه، نعم، ريبر... ما الذي جاء بكما إلى ساحل الذهب خلال العطلة الأسبوعية؟ أهو العمل أم المتعة؟

تمتم إريك يقول: «المتعة».

في الوقت الذي قالت شارلوت فيه: «العمل».

وبعد أن رمقته شارلوت بنظرة غاضبة غيّر جوابه قائلاً: «الأمران معاً».

لكنه بدا بعيداً عن البهجة. ابتسمت راشيل حين أدركت أنها ضايقت إريك بسهولة.. جاستين على صواب. شيء من الانتقام هو دواء ناجع للجروح القديمة. لكنها مازالت مترددة بالنسبة إلى الإدعاء بأنها وجاستين حبيبان. وأخيراً فكر إريك بأن يسألها: «وأنتما؟ هل أنتما هنا للعمل أم للمتعة؟».

وكان هو أيضاً يقيّم جاستين بهدوء، كما لاحظت راشيل. لكن لم تبد عليه تلك السيطرة الذكورية المعتادة. فبالرغم من أنه يبدو للنظرة الأولى، إريك الرائع نفسه، لكن بدا واضحاً عن قرب، أنه لم يعد بالغ العناية بمظهره، كما بدأ فكه الأسفل وخداه يسترخيان، أما شعره الرائع فقد بدأ بالتساقط عند قمة رأسه، كما لم تعد معدته رياضية مشدودة، حتى أنه بدا مترهلاً قليلاً. لابد أنه يقترب من الأربعين الآن، بينما جاستين مازال في أوائل الثلاثينات من عمره وهو أطول من إريك وأكثر لياقة بدنية وجاذبية أيضاً كما اكتشفت راشيل وقد تملكتها الدهشة. فقالت: «نحن هنا للعمل فقط، أليس كذلك يا جاستين»؟

ولمست ذراعه بخفة، وعيناها تتضرعان إليه بألاّ يقول شيئاً مختلفاً. غطى جاستين يدها بيده وشدّ عليها بحميمية: «آه، تماماً».

قال هذا بينما أعطت عيناه الزرقاوان اللامعتان رسالة مختلفة تماماً: «راشيل هي مساعدتي الخاصة الجديدة وهي كنز حقيقي. إنها معي منذ حوالى خمسة أسابيع فقط، لكنني أصبحت لا أعرف ماأفعل من دونها».

تأوهت راشيل في داخلها معذبة. يا إلهي إنه، بشكل ما ومن دون أن يقول شيئاً، جعل الأمر يبدو وكأن علاقتهما هي أبعد من نطاق العمل.

ـ أحقاً؟

قال إريك هذا ببرودة رافعاً حاجبه وهو يحدّق إلى صدر راشيل البارز. وشعرت راشيل بوجهها يتوهج فقد بدا ما يفكر فيه إريك واضحاً تماماً. وقالت شارلوت بحدة: «إريك، هل لك من فضلك أن تدخل مؤخرتك إلى داخل المصعد لكي نتمكن من إغلاق الباب»؟

رمقها إريك بنظرة حارقة، لكنه تقدم خطوة إلى الداخل.

ـ هل عرفت راشيل منذ مدة طويلة؟

ألقى عليه جاستين هذا السؤال والمصعد يهبط بهم. أجفلت راشيل على الفور منتظرة الجواب الذي سيدلي إريك به. وأجاب هذا الأخير: «كنا خطويين منذ سنوات قليلة، لكن الأمور لم تسر على ما يرام حينذاك، أليس كذلك يا «راش»؟

ازداد توتر راشيل عندما ناداها بذلك الاسم الذي كان ذات يوم يعبّر عن المودة والحنان. ولكن عليها اللعنة إذا كانت ستبدي ردة فعل على كلامه، بل كل ما سيراه هو عدم الاكتراث بما كان يمثل ذات يوم في حياتها. وهكذا قالت وهي تهز كتفيها بشكل عفوي: «آه، بل سارت الأمور على أحسن ما يرام، يا إريك. أنا قمت بما كان عليّ أن أقوم به، وأنت قمت بما كان عليك أن تقوم به! وعلى كل حال، لا فائدة من الحديث عن الماضي. من الواضح أن وضعك قد تغيّر وكذلك أنا».

انغلق باب المصعد وكأنه يثبّت قولها. بينما قال جاستين والمصعد يهبط بهم: «ومع ذلك فقد تركت فتاة نادرة تفلت من يدك، لكن خسارتك هي ربح لي».

فرد عليه إريك بحدة: «ظننتها مساعدتك الشخصية فقط»؟

ـ آه، وهي كذلك، ولكن مساعدة شخصية جيدة هذه الأيام تساوي وزنها ذهباً. إنها ليست رائعة الجمال فقط وإنما بالغة الذكاء أيضاً كما أنها حلوة ورقيقة للغاية. فكر فقط. لو أنكما لم تنفصلا حينذاك، لكانت راشيل زوجتك الآن. بدلاً من ذلك ها هي الآن تعمل عندي، جاعلة حياتي تسري

مسرى النسيم. كم هي محيّرة تلك الأحداث الصغيرة والتحوّلات في الحياة، أليس كذلك؟ آه، هاقد وصلنا إلى الطابق الأرضي.

جاهدت راشيل كيلا تُجفل عندما أحاط جاستين خصرها بذراعه بشكل حميم، ثم سار بها برفق في أثر إريك وشارلوت، اللذين لاحظت راشيل، أنهما لم يكونا متلامسين حتى ولا ممسكين بأيدي بعضهما بعضاً. وقد بدا الغضب جلياً في حركات شارلوت وإريك على السواء. حاولت راشيل أن تبدي نفورها مما فعله جاستين، لكنها شعرت في الوقت نفسه ببهجة غريبة وبشيء من الشماتة. لقد أدركت الآن ما كان جاستين يعنيه بكلامه عن تلقين الأشرار درساً. سأل جاستين إريك قبل أن يهرب مع شارلوت: «أظنكما ذاهبين إلى حفلة العشاء الخاصة بالنزلاء هذه الليلة؟».

فأجاب إريك: «نعم، شارلوت تعمل في مجال العقارات وهي تمثل موكلاً لها ثرياً».

فقالت شارلوت له بحدة: «يمكنني أن أتحدث عن نفسي، يا إريك. موكلي في الواقع، أكثر من ثري. إنه ملياردير! صدقني إذا أراد أن يشتري هذا المكان، فلن يستطيع من تعمل أنت لأجله، أياً يكن، أن يزاحمه عليه. فهذا الرجل يحصل دوماً على ما يريده. والآن، من هو ذلك الذي تعمل أنت لأجله، على كل حال؟ وما هو عملك في الأساس؟».

فقال جاستين بابتسامة غامضة: «يمكنني أن أعترف بأنني مستشار استثمارات، لكن كتمان اسم الموكّل مهم في مثل هذه الأمور. لاشك أنكما تدركان ذلك. المعاملات العقارية هي أشبه بلعب الورق، فأنت لا تضع كل أوراقك على المائدة إلا بعد أن تربح أو ينتهي اللعب».

فقالت شارلوت باعتداد: «موكلي لا يخدع أبداً. فهو لا يحتاج إلى ذلك. عندما يريد شيئاً، يتأكد أولاً من أنه أغنى المزايدين، وبعد ذلك يزيل المال كل العقبات».

ـ هكذا إذاً. قد لا يستخدم موكلك الخداع أبداً، ولكن أظن أنه إذا

استمر في التعامل مع الأمور المالية بتلك الطريقة، قد ينتهي في بيت من ورق اللعب، بدلاً من حقيبة الأوراق والمعاملات التجارية والسندات المتينة الأساس. لأن ذلك البيت سينهار حوله يوماً ما.

هزت شارلوت كتفيها بعدم اكتراث: «حسناً! ذلك أمر لا يعنيني. إنه مجرد موكّل، وطالما أحصل على أجري، لا يهمني ما يحدث بعد ذلك».

فقال جاستين بضحكة جافة: «هذا قول سمسار العقارات».

فلم يطرف جفنها لهذه الوخزة: «التعامل بالعقارات أمر شاق».

ـ لكنك كفؤة تماماً لذلك.

ـ آه، أنا لست صلبة إلى ذلك الحد. إذا عرفتني جيداً لن تجدني كذلك.

ومنحته ابتسامة ذات معنى. لم تستطع راشيل أن تصدق ذلك. شارلوت تغازل جاستين أمامها وأمام إريك. ولكن ما هو الجديد في ذلك؟ وتملكتها المرارة. فذلك ما فعلته مع إريك حين كانت هي مخطوبة له.

راح غضب هادىء يتجمّع في داخلها. ربما تمكنت شارلوت من إغواء إريك وانتزاعه منها. لكنها لن تدعها الآن تنشب مخالبها في جاستين! قد يكون الرجل رئيسها فقط، لكنه رجل طيب، وهي لن تدعه لأمثال قطة الأزقة تلك لتعبث به.

قالت بصوت عذب وابتسامة بالغة الحلاوة: «ولكن علينا حقاً أن نتابع طريقنا، يا جاستين. العشاء يبدأ في الثامنة وأنت وعدت السيد وونغ بأن نقابله في المقهى الرئيسي الساعة السابعة والربع، وأظن أننا تأخرنا قليلاً، أليس كذلك؟».

ـ معك حق. هل فهمت ما كنت أعنيه؟ ماذا كنت لأفعل من دونها؟ لا شك في أننا سنتقابل مرة أخرى أثناء العشاء حتى إننا قد نجلس على نفس المائدة. والآن عليّ أن أذهب لمقابلة... آه... مقابلة السيد وونغ. لا، إياك أن تسأليني من يكون هذا، يا حلوتي.

قال هذا لشارلوت ثم وضع إصبعه على شفتيه: «تذكري... كتمان

أسرار الموكل».

عندئذ قبض إريك عابس الوجه على ذراع شارلوت وأخذ يجرّها بقوة باتجاه قاعة الاجتماعات حيث تقام وليمة العشاء. همس جاستين قائلاً لراشيل: «من هو السيد وونغ هذا بحق الجحيم»؟

ـ لا أدري. فقد اخترعته من عقلي.

ـ ولكن لماذا؟ كانت الفكرة أن نرافق إريك وشارلوت إذا شئنا أن تنجز هدفنا هذه الليلة.

فقالت ساخطة: «كانت تغازلك».

ـ أحقاً؟ ولكن هذا أمر جيد أليس كذلك؟ فهو سيجعل إريك الهجين غيوراً عديم الثقة.

ـ خشيت أن يعجبك ذلك.

ـ أعجبني فعلاً، ولكن ليس كما تظنين. أنا ما كنت لأقبل بأن ألمس تلك العاهرة ولو بعد مليون سنة. يا إلهي يا راشيل، إذا كنت تظنين بي هذا فأنت لا تعرفينني جيداً.

ـ أنا فعلاً لا أعرفك جيداً. أليس كذلك؟ يبدو أن لديك نزعة شريرة تظهر من دون توقع، يا جاستين ماكارثي. رغم أنني كنت قبل هذه الليلة، أظنك... همم...

وجاهدت لكي تجد كلمة غير كلمة «طيب». فقال ساخراً: «ماذا؟ رزيناً؟ مملاً»؟

ـ لا! أنت لست مملاً أبداً. ربما «رزين» قليلاً. لا، أنت أيضاً لست رزيناً على ما يبدو. آه، لا أدري بماذا أصفك. لم أظن أبداً أن بإمكانك أن تضع خطة لجعلهما يظنان أننا حبيبان، حتى وأنت تدعي أن الأمر ليس كذلك. هذه مهارة بالغة منك في التآمر والمناورة.

ـ يقول المثل «لكي تهزم عدوك، إعمل بطريقته»، يا راشيل. أمثال إريك وشارلوت هم منحرفون ومتآمرون ومناورون. كما أنهم سطحيون

وأنانيون وأشرار حقيقيون. لا يهمهم من يؤذون أو يخونون. لا يهتمون سوى بأنفسهم ومكاسبهم. إذا كنت تظنين أنني أول رجل تغازله شارلوت، راجعي نفسك إذن. لا أظنها مخلصة لإريك ولا هو مخلص لها.

ـ ربما، ولكن الناس ليسوا جميعاً هكذا يا جاستين.

لم تشأ راشيل أن تعتنق فلسفة السخرية المرة الهدامة للذات. فصديقتها إيزابيل اعتنقت هذه الفلسفة نحو الرجال لوقت طويل، إلى أن قابلت ريف. ولم تكن راشيل توافقها في فلسفتها تلك على الإطلاق. وها هي إيزابيل الآن، بعد أن ملأ الحب والأمل حياتها، تصبح امرأة طيبة جداً. فقال جاستين وقد رقّت لها نظراته: «هذا صحيح. بعض الناس لطفاء طيبون، لكن نحن لسوء حظنا، وقعنا في غرام شخصين سيئين. لقد عاملك إريك بشكل كريه، يا راشيل، وما كان له أن يفلت من العقاب!»

حدقت راشيل في عيني رئيسها الزرقاوين المليئتين بالمرارة، وأدركت أنه لم يكن يتحدث فقط عن إريك، بل عن زوجته أيضاً. بدا لها أن جرح جاستين عميق للغاية.

أرادت أن تسأله عن زوجته وعما فعلت به، لكنها أدركت أن الوقت والمكان ليسا مناسبين لذلك الآن. ذلك أن جراحه لم تلتئم بعد. ربما كان يحبها إلى حد بالغ ولن ينساها أبداً. أما هي فشعرت بالارتياح لأنها لم تعد تحب إريك، ورؤيتها له مرة أخرى الليلة، أثبتت لها هذا على الأقل، نهائياً. قد يكون إريك ناجحاً ووسيم المظهر، ولكن لم يعد يعني لها أكثر من ذلك كما اكتشفت هذا المساء. قد ترغب به النساء أمثال شارلوت، فهما مخلوقان لبعضهما البعض. أما هي، فلا.

سألته: «هل تعدني بألّا تتبادل الغزل مع شارلوت خلال حفلة العشاء»؟

وضحك جاستين: «أعدك، ولكن ليس عليك أن تقلقي بشأني يا راشيل. يمكنني أن أحمي نفسي من مصاصات الدماء الإناث. كيف حالك

أنت بعد أن قابلت حبيبك مرة أخرى؟ هل مازال مظهره يشعل النار فيك»؟

ـ رباه، كلا. كلا على الإطلاق.

أجابته بذلك ما بين الضحك والارتجاف.

ـ أظنه ما يزال يملك بعض المشاعر نحوك.

فاحمر وجهها: «لا تكن سخيفاً».

فقطب جبينه: «هل تظنين من السخافة أن تتملك رجلاً مشاعر نحوك، خصوصاً وأنت تبدين بهذا المظهر المتألق»؟

ـ حسناً، لا... أعني... نعم... أعني، مهما فعلت لن أصبح مثل شارلوت. إنها سيدة جذابة للغاية.

ـ جاذبيتها بالنسبة إليّ أشبه بجاذبية جثة حيوان نتنة، تقريباً.

فأجفلت راشيل: «أحقاً»؟

ـ حقاً. ولكي أوفر عليك القلق، لن أغازل امرأة سواك هذه الليلة سأجعل إريك الهجين يصرف بأسنانه غضباً.

ونظر إلى ساعته: «همم. إنها الثامنة إلا عشر دقائق. اسمعي لم لا نذهب إلى المقهى الرئيسي حيث يفترض بي أن أقابل السيد وونغ الغامض؟ يمكننا أن نشرب الشاي إلى أن يحين موعد العشاء».

عضت راشيل شفتها السفلى. «آه، لقد... اخترعت أيضاً مسألة ذلك المقهى الرئيسي. لا أدري إذا كان لديهم مثل هذا المكان هنا»

فقال بابتسامة عريضة: «وتقولين إن لدي نزعة شريرة تظهر من دون توقع؟ أظنك أنت من لديه مثل هذه النزعة الشريرة غير المتوقعة، يا آنسة ويذرسبون. هيا بنا إذاً إلى مكتب الاستقبال لنسأل عن مكان المقاهي. لاشك أن لديهم واحداً أو أكثر في مكان كهذا».

بعد عشر دقائق كان جاستين وراشيل جالسين إلى إحدى الموائد على شرفة في الهواء الطلق يستمتعان بذلك المنظر الذي يأسر اللب، وهو منظر جميل حقاً حتى في الليل. بدت المنازل المنتشرة على طول الشاطىء مضاءة

ومبهجة للنظر. أما هواء الليل المنعش فبدا ساكناً معطراً وهو يداعب ذراعي وكتفي راشيل الناعمتين.

وتنهدت بكآبة: «ما أجمل هذا المنظر! لكن أظن أنه حان وقت الذهاب إذا أردنا أن نصل إلى العشاء في الوقت المحدد».

في الواقع، لم تكن راشيل ترغب بالنزول إلى ذلك العشاء الآن. مع أنها استمتعت بتلك اللحظة من الانتقام في المصعد، لكن لم تشأ الاستمرار في التظاهر بأنهما، هي وجاستين، حبيبان فذلك يجعل جاستين يبدو وكأنه رئيس عديم الأخلاق لا يستطيع رفع يده عنها. ومع أنها متأكدة من حسن نيته، لكن تصرفه بتلك الطريقة يبدو مهيناً.

ـ ما رأيك في أن نهرب من حفلة العشاء هذه، ونطلب بعض الطعام لنأكله هنا؟ إنهم يقدمون هنا وجبات خفيفة.

أجفلت لاقتراحه هذا: «ولكن ألا يفترض بك أن تحضر حفلة العشاء»

ـ لست مضطراً لذلك. سيوفرون فيلم فيديو للاحتفال التكريمي، للمتقدمين للشراء الذين لم يستطيعوا حضور الحفلة الليلة. سأشتري نسخة في الصباح، ثم أشاهده حين أعود إلى البيت مساء غد، مع أنني أشك بأن يكون ذا فائدة.

ـ ولكن ماذا بالنسبة إلى إريك وشارلوت؟

ـ ماذا بالنسبة إليهما؟ قلت إنك لم تعودي مهتمة بإريك مثقال ذرة.

ـ هذا صحيح.

ـ إذن، فقد قمنا بما كنا نريد القيام به. جعلنا إريك الهجين يرى أنك سيته. كما جعلناه يدرك أنه ترك سيدة ممتازة حقاً، وهل لي أن أقول، جذابة للغاية؟ وذلك لأجل عاهرة مثل شارلوت. بصراحة، عدم ذهابنا إلى الحفلة، هي خطة أكثر نجاحاً ومراوغة. سيمتلك إريك الهياج لدى التفكير في أننا عدنا مسرعين إلى غرفتنا لقضاء ليلة طويلة حميمة. والعزيزة شارلوت

سيمتلىء قلبها الصغير قلقاً، من أن يكون صديقي الغامض السيد وونغ رجلاً بالغ الثراء من سنغافورة، ويمكنه أن يدفع في المزاد ثمناً أكبر للفندق مما سيدفعه ذلك المغرور المهووس الذي تمثله. لقد اكتمل انتقامك يا راشيل الآن. فلماذا تجازفين بإفساده؟

- ولكن...

- لديك ولع بالاعتراض يا راشيل. انسي كلمة «ولكن» الليلة حتى لو كان الأمر يتعلق بالعمل. لن تحصل مشكلة لعدم حضورنا الحفلة. لقد قمت بتحقيقات خاصة في أنحاء المدينة اليوم، وأنا لن أنصح شركتي بشراء هذا الفندق على كل حال. مصدر جدير بالثقة أخبرني بأن معدل النزول في الفندق هو منخفض ماعدا في قمة مواسم السياحة، وحتى في مواسم السياحة هناك فندقان مجاوران ناجحان ينافسانه. شخص آخر أخبرني أنه، بالرغم من فخامة المبنى وجمال الديكور، فإن إدارة الفندق ليست ناجحة فنسبة استقالة الموظفين مرتفعة.

- من هو المصدر الجدير بالثقة ومن هو الشخص الآخر؟

- الناس الذين يقيمون في «كولانغاتا» ويعملون هنا. أصحاب الحوانيت، الموّنون، سائقو التاكسي، فهؤلاء ليس لديهم من الأسباب ما يجعلهم يكذبون، بينما أصحاب الفندق الحالين لديهم كل الأسباب التي تجعلهم لا يعلنون الحقيقة.

- فهمت.

- وهكذا، ماذا قلت؟ هل نترك الحفلة ونبقى هنا؟

فقالت وقد غمرها الارتياح: «نعم، أرجوك».

ابتسم جاستين مسروراً بتغيير الخطة. وقال وهو يلتقط قائمة الطعام: «هذا أفضل! هكذا يمكننا الاستمتاع بالعشاء والمنظر الجميل معاً، وربما يمكننا أن نرقص بعدئذٍ فثوبك الليلة مناسب تماماً لتكوني رفيقة رقص ممتازة».

اهتز قلبها. فهي لم ترقص منذ سنوات، وآخر مرة رقصت فيها مع إريك، كانت قبل أسبوع من فسخه خطوبتهما، وقبل يوم واحد من معرفتها لذلك الخبر الفظيع عن مرض ليتي. ذهبا يومها إلى حفلة عيد ميلاد أحد أصدقائهما، وكان إريك يهمس في أذنيها كلمات الحب الحارة وهو يضمها إليه بشدة، ما جعلها تنسى كل ما حولها وتحلق على أجنحة الحب الوردية. يا لها من مغفلة! ظنت يومها أن إريك مجنون بحبها ولم يخطر ببالها مطلقاً أنه سيتخلى عنها عند أول فرصة. هذا ما ظنته حينذاك. وقد أدركت الآن أنه لم يكن يحبها على الإطلاق. كان يستغل مشاعرها الحساسة فقط لأنه لم يحبها قط، في الحقيقة.

- أنا... أنا لم أرقص منذ سنوات.

قالت هذا وقد ارتجف صوتها قليلاً للذكرى. رغم أن حبها لإريك قد زال تماماً، إلا أن الجرح الذي تركه فيها مازال موجوداً. سألها بدهشة: «لم ترقصي في عرس صديقتك»؟

- لا.

- ولماذا لا؟ أراهن أن هناك من طلبك للرقص وأنت ترتدين هذا الثوب الرائع.

- نعم، حصل هذا.

- ولماذا رفضت؟

- أنا... أنا فقط لم أرغب بذلك.

وفي الواقع شعرت حينذاك بأنها أضعف من أن تقوم بشيء يمكن أن يذكّرها بمأساتها كالرقص مع رجل. عندما رأت العروسين يرقصان أولى رقصاتهما معاً، شعرت بألم حاد وتعاسة بالغة العمق يدمرانها فهربت إلى استراحة السيدات، ملجئها المفضل حيث بكت طويلاً. وقطب جاستين حاجبيه: «هذا بسبب إريك الهجين، أليس كذلك»؟

فقالت بابتسامة حزينة: «وكيف عرفت»؟

ـ أنت أخبرته في المصعد أنك نسيته، يا راشيل، وأخبرتني لتوك الآن أن أمره لم يعد يهمك. أظن الوقت قد حان لكي تقرني القول بالفعل. سترقصين معي الليلة ولا أريد أن أسمع كلمة أخرى عن ذلك. ولن أقبل كلمة «لا» مطلقاً.

ـ نعم، يا سيدي الرئيس.

قالت هذا بشيء من التفكهة لموقفه الرجولي المتصلّب.

بدا جاستين الآن مختلفاً تماماً. بدا تماماً كما كان يدعي منذ قليل بأنه رئيس استغلالي غير أخلاقي. وقال بحزم: «إنها جملة جيدة جداً. تدرّبي على قولها».

ـ نعم يا سيدي الرئيس.

ـ مرة أخرى.

فضحكت: «نعم يا سيدي الرئيس».

فقال بابتسامة عريضة: «ها قد حفظتها عن ظهر قلب».

* * *

٧ ـ لا تقولي لي لا!

جلس جاستين يراقب راشيل وهي تتناول طعامها. لأول مرة منذ سنوات تلذذت بالطعام رغم بساطته، وها هي ذي تجلس مسترخية تماماً، تميل برأسها إلى الخلف محدقة في النجوم.

كان جاستين قد طلب القهوة لتوه ليتناولاها بعد العشاء، لكن الخدمة كانت بطيئة. من الواضح أن هناك نقصاً في الموظفين، خصوصاً بالنسبة إلى ليلة سبت. بدا الجو حولهما رائعاً وفكر جاستين أن الوقت قد حان ليطلب من راشيل أن تراقصه. كانت الموسيقى القادمة من داخل المقهى تصل إلى مسامعهما ناعمة بطيئة، والنغم سهل المتابعة.

نهض واقفاً واتجه نحوها مادّاً يده: «هل نقوم بدورة حول الشرفة يا آنسة ويذرسبون»؟

وهكذا دعاها إلى الرقص متبعاً الطريقة الرسمية القديمة. ابتسمت راشيل له. ما أجمل ابتسامتها! من المؤسف أنها لا تبتسم كثيراً، لكن قد تتغير الأمور بعد هذه الليلة.

ـ شكراً يا سيد دارسي... آه، بل سيد ماكارثي، أعني...

وعندما وقفت ترنحت على كعبيها العاليين بشكل خطر، فأمسك بأعلى ذراعيها وشدّها إليه يسندها.

ـ أوه..

شهقت مجفلة وهي ترفع عينيها لتتقابلا مع عينيه.

www.elromancia.com

قال جاستين يلومها برفق: «من الواضح أنك لست معتادة على ارتداء الكعب العالي، يا آنسة ويذرسبون. من حسن الحظ أنك وجدت نفسك برفقة «جنتلمان» هذا المساء، وإلا لكنت أصبت بأذى»

ـ نعم، لحسن الحظ.

تمتمت بذلك بينما بقيت عيناها متعلقتين بعينيه. راحت تنظر إليه بعينيها الجميلتين فيما كانت شفتاها منفرجتين. لم يبد عليها الاشمئزاز أو النفور ولا حاولت أن تبعده عنها. عندما التفت ذراعاه حول خصرها وراح يقودها بمهارة على إيقاع الموسيقى بخطوات رشيقة تدل على خبرة صاحبها وبراعته. نسيت راشيل خوفها ولم تعد تشعر إلا بانسجام خطواتها مع خطوات الرجل الوسيم الذي يقف إلى جانبها، حتى إنها بدت مسترخية ومستمتعة بهذه الرقصة. وبدلاً من انتزاع نفسها منه غاضبة، كما تصورت أنها قد تفعل، رفعت ذراعيها لتطوقا عنقه وهي تزداد اقتراباً منه.

قال محذراً بصوت خافت: «راشيل».

ـ نعم، يا سيدي الرئيس؟

قالت هذا بصوت أبح منخفض، وقد أصبحت عيناها العسليتان قاتمتين.

ـ هل تدركين ما تقومين به؟

ـ نعم يا سيدي الرئيس.

ـ ربما الرقص معاً ليس فكرة حسنة.

ـ أقفل فمك فقط، يا سيدي الرئيس، وحرّك قدميك.

هذه الصلابة التي لم يتعوّدها منها أدهشته، لكنه أقفل فمه وحرك قدميه. ومع ذلك، كان الحق معه... إنها ليست فكرة جيدة. الأنغام البطيئة المثيرة سرت في دمه كما فعل عطر ونعومة هذه المرأة التي بين ذراعيه. زاد في ارتباكه أن عيناها الملبتنان بالمشاعر الدافئة تحدقان فيه برقة لم يعهدها فيهما من قبل. وعندما توقفت الموسيقى كان العذاب قد تملكه.

أعادها إلى كرسيها وهو يقول صارفاً بأسنانه: «أريد أن أذهب إلى استراحة الرجال».

كانت قهوتهما قد وصلت لتوّها لحسن الحظ، وتملكه الرجاء في أن تعيد إليهما القهوة السوداء اتزانهما فتهدأ مشاعرهما الجياشة، كما أخذ يفكر بأسف وهو يتجه إلى استراحة الرجال. إنه يرغب في معانقتها، لكنه يخشى أن تكرهه وتنفر منه فيما بعد. عليه أن يتعقل فلا يفسد علاقته الجيدة بسكرتيرته. فراشيل أظهرت أنها امرأة محتشمة أثناء العمل إلى أبعد الحدود. وإن كانت تبدي الآن تجاوباً معه، فذلك يعود إلى ما عانته هذا المساء كما أن اللوم يقع عليه في الدرجة الأولى. فهو لم يدرك، عندما شجعها على تسوية مظهرها اليوم، أن تحوّلها سيكون مثيراً للغاية. وعندما تجد امرأة نفسها بهذا المظهر الحسن الذي رأت راشيل نفسها فيه الليلة، تميل إلى المرح والاسترخاء.

ومع ذلك لِمَا يرغب في معانقتها بهذه القوة؟ إنه يعاني من الإحباط. ربما مشاعره قد ثارت عليه أخيراً بسبب طول العزوبة والحرمان. ربما حان الوقت لكي يجد لنفسه امرأة لطيفة سمحة الخلق ليخرج برفقتها بانتظام من دون أي روابط عاطفية. والعلاقة الجدّية هي آخر ما يفكر فيه. كما أنه لا يريد أن يسمع كلمة «حب» على الإطلاق. حتما لا! فالصحبة هي كل ما يريده.

تنهد جاستين وانتظر إلى أن هدأ توتره قبل أن يعود إلى الشرفة. كانت مشاعره ما تزال مضطرمة. من يدري! ربما يعود إلى هنا بعد أن تنام راشيل، فالوقت مازال مبكراً. وكان قد لاحظ أن فتاة جميلة حمراء الشعر قد جلست وحيدة إلى إحدى الموائد وراحت تنظر إليه طويلاً وهو يمرّ بجانبها قد يعود ليمضي بقية السهرة معها تلبية لدعوتها الواضحة، حيث أن نومه الليلة، وهو بحالته المشوشة هذه سيكون صعباً للغاية. صعباً؟ بل هو مستحيل!

* * *

عندما تركها جاستين وحدها، عاد إلى راشيل ضميرها الواعي وتعقلها بعنف بالغ. ما هذا الذي تفعله؟ تغازل رئيسها وترقص معه وهي تحيط كتفيه بذراعيها كعريشة العنب. لا يمكنها لوم جاستين على اضطرام مشاعره. فهو رجل قبل كل شيء، رجل يعيش الحرمان العاطفي منذ فترة طويلة. وابتعاده عنها الآن، يشكل إحراجاً لا يعبر عنه بالكلمات.

ليتها تعود الآن إلى غرفتها في الفندق! لكن المفتاح مع جاستين. ولذا لم يكن بإمكانها إلا أن تبقى في مكانها لتنتظر عودته فتعتذر عن تصرفها المتهور ذاك، وتلتمس صفحه وتفهمه. ستلقي اللوم على هذا الجو الرومنسي الذي يحيط بهما، وعلى الأحداث التي مرت بها في بداية الأمسية. حيّرتها جرأتها هذه... أتكون مشاعرها المكبوتة قد أفلتت هذه الليلة لتجعل منها امرأة أخرى؟ أزعجتها هذه الفكرة الأخيرة تماماً، لأنها أثناء مراقصته لها، شعرت برغبة قوية بمعانقته وهو أمر مروّع بالنسبة إلى فتاة لا تقبل بالمغازلات الطائشة والعلاقات العابرة. أم أنها وصلت إلى نقطة في حياتها باتت تحتاج فيها إلى الحنان وتبادل المشاعر مع رجل حتى لو كان هذا الرجل رئيسها؟ قد يكون هذا ما يحدث للمرأة العزباء عندما تصل إلى عمر معيّن، أو أنها عاشت وحيدة مدة طويلة بحيث أنها ترغب بمعانقة أي رجل!

كرهت راشيل تلك الفكرة، لكنها لم تستطع أن تنكر أن ذلك قد يكون صحيحاً.

شبكت ذراعيها على صدرها وهي ترتجف، مع أنها لا تشعر بالبرد. وأخذت تنظر من خلال زجاج النافذة إلى داخل المقهى المعتم نوعاً ما، وهي تنتظر عودة جاستين بشعور هو مزيج من الرغبة والخوف. ولكن لم يبد له أثر.

أرادت أن تصرف ذهنها عن اضطرابها المتزايد، فسكبت لنفسها فنجاناً من القهوة الثقيلة السوداء. ولسوء الحظ، عودتها إلى اتزانها جعلت

شعورها بالعذاب بسبب تصرفاتها السابقة الحمقاء يزداد.

كانت تسكب فنجانها الثاني عندما جاء رئيسها أخيراً. لكنه لم يعد إلى الجلوس، وإنما بقي واقفاً بجانب المنضدة وهو ينظر إليها مقطباً، ثم قال فجأة: «أظن أنّ عليّ أن أعيدك إلى الشقة. فأنت بحاجة إلى النوم وليس القهوة».

أجابته بحدة قبل أن تتذكر أن ادعاء الحاجة إلى النوم قد يكون أحد أعذارها للابتعاد عنه والعودة إلى الشقة... أليس هذا ما رغبت به قبل قليل؟

ـ لست طفلة لتحدد أنت لي ساعة نومي.

ـ أنا لم أقل إنك كذلك، لكنك أمضيت يوماً شاقاً مرهقاً، هيا، كوني فتاة طيبة ولا تجادليني.

لكن راشيل شعرت الآن برغبة في أن تجادله، بعد أن حوّلتها لهجته الاستعلائية إلى الطريق المعاكس. وأي فكرة عن الاعتذار ذهبت الآن مع الريح.

إنه ملوم مثلها تماماً، كما قررت بتمرد. لو أنه لم يحثها على دخول صالون التجميل لما شعرت قط بالثقة بنفسها، لتتصرف بجرأة كما فعلت الليلة، ولما طلب منها أن ترقص معه أبداً. فهو لم يكلف نفسه من قبل بأن يلقي عليها أي نظرة رقيقة عندما كانت تبدو امرأة عادية الشكل.

على أي حال، لماذا عليها أن تشعر بالخزي لتصرفاتها؟ فنظراً للمدة الطويلة التي مرّت عليها من دون أن تخرج بصحبة، لا عجب في أن تساورها بعض المشاعر القوية.

وجاءها صوت العقل من داخلها: «إذا بقيت على موقفك هذا، سرعان ما تصبحين من دون وظيفة».

وبآهة كئيبة استسلمت إلى صوت المنطق، وضعت من يدها كوب القهوة ووقفت بحذر. تمتمت وهي تنظر إلى ساعتها: «لم أكن أعلم أن على

سندريلا أن تذهب إلى بيتها قبل الثانية عشرة. والساعة الآن العاشرة والنصف فقط. ومع ذلك، إذا قلت إن الوقت حان لأذهب إلى السرير، إذن فقد حان وقتي لأذهب إلى السرير. فأنت الرئيس قبل كل شيء».

* * *

تمنى جاستين لو أنها لم تقل ذلك، فقد امتلأ ذهنه على الفور بأفكار مختلفة. تقدم ليمسك ذراعها، ثم غيّر رأيه، وقرر أن يحتفظ بيديه بعيدتين عنها، إلى أن تدخل غرفتها وتستكين فيها بسلام، وحدها.

- فلنذهب إذن!

قال هذا بصوت خشن وهو يتراجع خطوة إلى الخلف ويشير إليها بأن تتقدمه.

لكن لسوء الحظ، ما إن سارت راشيل أمامه بذلك الثوب المثير، حتى عاودته الرغبة في احتضانها. ولو أمكنها أن ترى نظراته إليها في تلك اللحظة لتملكها الاشمئزاز.

سرى الدم في عروقه ساخناً، وأدهشه أنه لم يلاحظ من قبل جمال هذه المرأة. ما أقدر الثياب المحتشمة على إخفاء جمالها! ساد بينهما صمت مربك، فيما هبط بهما المصعد إلى شقتهما. وقد شبك جاستين يديه أمامه مظهراً عدم الاهتمام بينما راح يتحرق في داخله لمعانقتها.

أتراها تشعر بمثل مشاعره تلك؟ طيلة الفترة التي عملت فيها معه، لم تظهر راشيل له سوى الرزانة والاهتمام بعملها. كانت مثال السكرتيرة المثابرة والجدية. أما اليوم، فهي امرأة مختلفة تماماً، فهي لم تبد بهذا الجمال من قبل وفكر في سره: ربما ترغب بمعانقتك هي أيضاً. وربما هذا هو السبب في التعاسة التي بدت عليها عندما قطعت عليها سهرتها منذ دقيقة. أين هي المشكلة إذاً؟ كلاكما راشدان وكلاكما محرومان من العطف والحنان. لذا فإن الانجذاب المتبادل بينكما أمر طبيعي. ثم إنه مجرد عناق ليس أكثر، أم أنك تخشى من عدم قدرتك على التوقف؟ لا! أبعد هذه الفكرة عن رأسه.

فهو لن يتصرف أبداً كرئيس عديم الأخلاق كما يفعل البعض. لكن أين الضرر في عناق بسيط؟ فهذه المرأة التي يراها أمامه تبدو رائعة وجذابة.

ولكن ماذا بالنسبة إلى الصباح، يا جاستين؟ وماذا بالنسبة إلى الأسبوع القادم عندما يكون عليك أن تعمل معها؟ ماذا سيحدث حينذاك؟

كتم جاستين آهة. إنه لا يستطيع أن يفعل ذلك، مهما كان الأمر. ذلك أمر غير مقبول وقد يسيء إلى علاقة العمل الحسنة بينهما فيما بعد. ثم إن راشيل مرهقة واهنة القوى الليلة، فهي بحاجة إلى شخص عطوف لا إلى رجل يستغلها بمكر للحصول على غايته منها.

وعندما دخلا الشقة من دون أن ينطق أحدهما بكلمة قالت راشيل بلهجة بائسة تستجلب الشفقة: «أنت غاضب مني، أليس كذلك؟»

فتنهد جاستين: «لا، يا راشيل، أنا لست غاضباً منك».

- تصرفك يدلّ على ذلك

- آسف إذا كان مظهري يدل على ذلك. في الواقع، أنا غاضب من نفسي

نظرت إليه بدهشة: «ولكن لماذا؟ أنا التي تصرفت بشكل سيء».

- لو أمكنك الدخول إلى أفكاري، لما ظننت هذا.

نظرت إليه بدهشة فبادلها نظراتها تلك وقد عاد ضميره إلى صراعه اليائس مع مشاعره العنيفة. أراد أن يستعيد مشاعر الرقة والعطف التي كانت راشيل تبعثها في نفسه عادة. أراد أن يتذكر ما كان عليه مظهرها من قبل. لكنها بدت معركة خاسرة. لقد ذهبت تلك المخلوقة الباهتة وحلت مكانها هذه المرأة البالغة الجاذبية. كل ما يستطيع أن يفكر فيه الآن هو إحساسه بها وهي تتمايل بين ذراعيه حين كانا يرقصان.

وتقدم نحوها ليحيط وجهها بيديه: «إنها فكرة أسوأ من فكرة الرقص معك، لكنني لا أملك القدرة على مقاومتها. لا تقولي «لا»، يا راشيل. ليس الليلة»

أدركت راشيل أنه سيعانقها. يا إلهي! يجب إلا يحصل هذا. إنه رئيسها! يجب أن تبقي على تلك المسافة بينهما، وإلّا فإنها ستكره نفسها وتكرهه. كما أنها تخشى أن يظنها امرأة سهلة. ومن يدري؟ قد يعجبه الأمر ويعتاد عليه. وعندها لن تتمكن من متابعة العمل معه أبداً، على الإطلاق. فهي تكره، أكثر ما تكره، أولئك الرؤساء القذرين الذين يستغلون سكرتيراتهم.

ودار رأسها، فشهقت مذعورة: «لا... لا تفعل».

وقبل أن تتمكن من متابعة احتجاجها، كانت ذراعاه قد أطبقتا عليها ليغرقها في بحر من المشاعر التي حرمت منها منذ سنوات.

قال مزمجراً وهو يأخذها بين ذراعيه: «لا تقولي كلمة «لا». لا تتكلمي! الكلام يفسد كل شيء».

ولم تنطق راشيل بكلمة واحدة، لم تجرؤ على التكلم. ولم تعد تشعر سوى بقوة جسده الدافىء وكتفيه العريضتين. لاعجب في ذلك فجاستين ذو جسم رياضي، وهو يقوم بالتمارين يومياً بل إن بنية جسمه رائعة في الحقيقة، ومن المؤكد أن زوجته لم تتركه لقصور في رجولته. فها هو الآن يبدو ملتهب المشاعر مع أنه يحاول كبت نفسه. قفز تفكيرها على الفور إلى إريك، فشعرت أنه يبدو مثيراً للشفقة إلى جانب جاستين.

التفكير في إريك وزوجة جاستين ذكّر راشيل بأن عناقهما هذا أمر خاطىء، وقد يقودهما إلى حالة مشابهة لحالة زوجة جاستين مع رئيسها. لكن هذا العناق جعلها تستعيد ثقتها بنفسها وكرامتها وتقديرها لذاتها أكثر من كل أساليب التجميل في العالم. لقد أحيا فيها المرأة مرة أخرى وهذا وحده يكفي، وبعد هذه الليلة لن تعود إلى شخصية تلك المرأة المتزمتة العادية الجمال التي كانت تقوم بدور السكرتيرة بذلك الشكل المثير للشفقة.

حتى ولو أدّى بها ذلك إلى الاستقالة، سوف تتحوّل منذ هذه اللحظة، وتعيش حياتها كما كانت تعيشها ذات يوم. لن يكون هناك المزيد من الإهمال

لنفسها، ولا المزيد من الاختباء داخل البذلات السوداء الكئيبة الموحشة مع طراز شعر يشبه شعر العوانس. وحتماً لن يكون هناك مزيد من الخوف من الناس، وخصوصاً الرجال. ذلك الفصل الحزين الموحش من حياتها قد انقضى.

وقال لها جاستين متذمراً: «أنت تفكرين».

ـ وأنت تتكلم.

ذكرته بذلك وهي تدفع بشعرها إلى الخلف عن وجهها، فقال بصوت خشن: «هذا امتياز لي فأنا الرئيس».

مع أن عناقه أعجبها إلا أن راشيل فكرت بأن على أحدهما أن يكون متعقلاً ويبدو أن جاستين ليس كذلك.

ـ حسناً سيدي الرئيس. بما أنني سأكون قريباً مساعدتك الشخصية يحق لي الكلام أنا أيضاً، كما يحق لي الاعتراض على تصرفاتك السيئة.

صدم جاستين لقدرتها على التحدث بهذه الطريقة، ما يدل أنها تمكنت من السيطرة على مشاعرها بسهولة، ولم تسمح لعناقه بأن يجرفها ويفقدها صوابها أين ذهبت المرأة الطائشة التي كانت تحاول إغواءه منذ قليل؟ يا للنساء، إنهن لغز محيّر حقاً!

ـ هكذا إذاً؟ أنا أسيء التصرف الآن، أما أنت فبريئة كالملاك؟

احمر وجه راشيل لكنها لم تتراجع. أدركت أن عليها إخفاء رغباتها الحقيقية، لئلا ينجرفا وراء مشاعرهما القوية، فيسيئان فيما بعد إلى بعضهما البعض

أفلتت من بين ذراعيه، وابتعدت قليلاً «ألم تقل بنفسك إنني بحاجة إلى النوم حسناً هذا ما سأفعله أما أنت فيمكنك العودة إلى هناك، فقد تجد لك رفيقة مسلية ألم تر حمراء الشعر تلك كيف كانت؟ ستلتهمك بعينيها! يا إلهي، ما بك؟ هل أغضبتك إلى هذا الحد؟».

بدا جاستين في تلك اللحظة كأنه تلقى صفعة على وجهه، هل كانت

راشيل تقرأ أفكاره؟ لا، لن يفعل هذا. لن يعود إلى هناك، بل سيثبت لها أن بإمكانه هو أيضاً السيطرة على مشاعره وأنه رجل شهم. أخذ نفساً عميقاً وكان توتره قد هدأ قليلاً. وقال: «لن أعود إلى هناك راشيل، فأنا أيضاً أود أن أرتاح. لكني لم أتناول القهوة بعد العشاء. فما رأيك بأن نعد فنجاني قهوة نتناولهما بهدوء على الشرفة؟».

نظرت راشيل إلى عينيه الحزينتين ولم تستطع الرفض. فقد حركت نظراته العميقة تلك شيئاً في داخلها لم تدرك ما هو، لكنه بدا مختلفاً عن كل المشاعر التي عرفتها في حياتها. وما لبثت أن قالت بابتسامة مرحة: «حسناً. أنت من سيعد القهوة إذاً».

* * *

٨ ـ لا عودة إلى الوراء

راح جاستين يحدق في سقف الغرفة غير مصدّق. ما الذي أصابه بحق الله؟ كلما نظر إلى راشيل يشعر برغبة في احتضانها. تمثيل دور الرئيس الذي لا يستطيع إبعاد يديه عن سكرتيرته، كان فكرته هو، وذلك للانتقام من خطيبها السابق إريك وإثارة غضبه. فما باله ينسجم في الدور حتى النهاية؟ هل السبب هو مظهر راشيل الجديد؟ أم الإحباط الذي يعاني منه منذ شهور عدة؟ ربما الأمران معاً؟

تأوه ورفع يديه يصفق على خديه ثم يشدّ شعره، ما الذي تملكه ليحاول إغواءها؟ راشيل من بين كل النساء؟ دوماً كان يضع الرؤساء الذين يغوون سكرتيراتهم في رأس القائمة التي تضم أحقر الرجال.

أخذ يفكر في أن عليها أن تترك العمل معه، فهو لم يعد يستطيع العمل معها بأية حال، لأنها ستجعله يشعر بالذنب على الدوام. أو أسوأ من ذلك، لم يستطع أن يتصور نفسه يمضي النهار إلى جانبها وينظر إليها في كل يوم من أيام الأسبوع، من دون أن تراوده تلك الأفكار الخطيرة مرة أخرى وهذا سيذكره بماندي وعلاقتها مع رئيسها النذل ذاك.

ومع ذلك، طرده لراشيل من العمل سيجعله نذلاً أسوأ. ووقع جاستين في الشرك بين هذين الوضعين. فويل له أن أبقى راشيل لديه وويل له إن طردها!

ـ وصفق راحة يده على قبضة يده الأخرى.

* * *

استيقظت راشيل مجفلة، وطرفت عيناها وهي تحاول أن تتذكر أين هي. لم تميّز السقف أو الجدران أو السرير.

ثم فكرت فجأة.

تذكرت الفندق والأمسية الفائتة و.. جاستين.

وتأوهت: «آو، يا إلهي...»

دخلت الحمام لتأخذ الدوش دون تأخير، حيث بقيت بعض الوقت، باذلة جهدها لتمحو من ذهنها ذكريات الليلة الماضية، فهي ليلة من الأفضل نسيانها.

لكن نسيان تصرفاتها هو أقرب إلى المستحيل! لا شك أن جاستين يشعر بالاستياء منها ومن نفسه، فكلاهما انجرفا في مشاعر كان يجدر بهما مقاومتها.

بعد ذلك بنصف ساعة، كانت راشيل تجلس على حافة سريرها عندما سمعت صوت قرع على بابها. ثم صوت جاستين: «راشيل. هل ارتديت ثيابك»؟

ـ ليس تماماً.

وكانت تكذب. فقد ارتدت لتوّها ملابس من تلك التي تركتها لها إيزابيل؛ بنطلوناً أبيض وبلوزة بيضاء وصفراء تزينها أزهار صفراء اللون، بالإضافة إلى ملابس داخلية، وكانت قد اشترتها في اليوم السابق لكن شعرها ما يزال مغطى بالمنشفة، ولم تكن قد وضعت على وجهها أي زينة.

رغم ندمها على محاولتها إغواء جاستين، لن تعود أبداً إلى ما كانت عليه من الإهمال لمظهرها. فتغييرها لمظهرها بالأمس دفعها إلى الخروج من حالتها المثيرة للشفقة تلك، وتابع جاستين: «علينا أن نتحدث، كما أن علينا أن نأكل. الساعة الآن تجاوزت الحادية عشرة، ومقصف الإفطار أغلق منذ زمن طويل.

فقالت بتعاسة: «أنا لست جائعة».

ـ ربما لا، ولكن يجب أن تأكلي شيئاً، فلن يكون هناك سوى طعام خفيف في الطائرة خلال رحلة العودة إلى موطننا بعد الظهر، إسمعي، ما رأيك في أن أطلب لنا بعض الشطائر من خدمة الغرف، فيما ترتدين ثيابك؟ هكذا يمكننا أن نتحدث أثناء تناول الطعام. لدينا الكثير من القهوة والشاي في الغرفة، وهكذا يمكننا تناول شراب ساخن أيضاً. سأنتظرك على الشرفة، فلنقل... بعد نصف ساعة؟

ـ لا بأس.

وفكرت بشيء من الارتياح بمبلغ التهذيب البادي في صوته. ربما لن يطردها من العمل رغم كل شيء.

* * *

تبخّر كل أمل لدى جاستين في أن تظهر راشيل مرتدية ملابسها السوداء الفظيعة تلك مرة أخرى. فقد خرجت إلى الشرفة وقد ارتدت بنطلوناً أبيض ضيقاً وبلوزة صفراء متألقة. وقد بدا جسمها مدهشاً بالنسبة إلى امرأة كان يظنها إلى وقت قريب، نحيلة إلى حد الهزال. حتى مشيتها بدت مختلفة، فهي رشيقة ومنفتحة ولا تمت بصلة إلى المشية المتزمتة لراشيل القديمة.

أشار لها بالجلوس، وهو يصرف بأسنانه، ثم بدأ على الفور الحديث عن الموضوع الهام. لا فائدة من تأجيل المواجهة.

قال: «قبل كل شيء، دعيني أعتذر على الفور عن سلوكي المفزع الليلة الماضية. ليس لدي الكثير من الأعذار ماعدا ربما، ثمانية عشر شهراً من العزوبة، وذلك الجو الرومنسي حيث تناولنا العشاء. ثم طبعاً، مظهرك الليلة الماضية...»

من دون أن يضيف تعليقه على مظهرها هذا الصباح وهو يشملها بنظراته.

بدت تلك الملابس ملائمة تماماً لجسمها، أما شعرها فكان يموج حول وجهها بشكل ستار أحمر ناعم مثير، كما تبدو أظافرها المصبوغة باللون

القرمزي من خلال حذائها المشبّك الأبيض. وقد فاضت من جسمها رائحة عطر التفاح، تلك الرائحة التي يحبها كثيراً.

فقالت راشيل بصوت منخفض: «وأنا أيضاً مدينة لك بالاعتذار. فقد أشعلت رغبتك أثناء رقصنا معاً. أعلم أنني فعلت ذلك. أظنني أنجرفت قليلاً بتلك التمثيلية الصغيرة التي اخترعناها».

ارتاح جاستين لتفسير الأمر بهذا الشكل، إذا كان هذا يشعرها بالتحسن، فقد أشعره هو أيضاً بالتحسن، أم أن هذا غير صحيح؟

ـ حسناً، نحن الإثنان ملومان. الآن، فلنصفح عن بعضنا البعض وننسى أن الليلة الماضية قد مرّت علينا، ثم نستمر كما كنا.

رأى كتفيها تنتصبان وذقنها تهتز بدهشة، ثم نظرت إليه مقطبة الجبين: «هل بإمكانك أن تفعل ذلك حقاً؟ تنسى أن تلك الليلة مرّت بنا يوماً ما؟».

فكر جاستين: ليس وأنت بجانبي! إلا أنه هز كتفيه: «نعم، ولماذا لا؟ إنها لم تكن تعني شيئاً لأيّ منا. كان الأمر مجرد وجودنا معاً في المكان والوقت غير المناسبين. ومن الواضح أن كلاً منا بحاجة إلى الإكثار من الخروج».

وأنهى كلامه بابتسامة صغيرة مرّة.

ـ أنت إذن لن تطردني من العمل؟

ـ أطردك؟ كلا بالطبع. لم تخطر ببالي هذه الفكرة قط.

وكانت هذه الكذبة الأولى من مجموعة الأكاذيب التي سيخبر بها راشيل في المستقبل.

ـ كنت... كنت خائفة من أن تفعل هذا.. فإيزابيل تقول إن إقامة علاقة مع الرئيس هي قبلة الموت، لأن الفتاة دوماً تنتهي بالطرد من الخدمة.

أراد أن يقول إن ذلك لا ينطبق على الجميع خصوصاً إذا كانت الفتاة موضوع النقاش هي زوجته السابقة الشقراء الرائعة الجمال. فقد كانت سكرتيرة رئيسها وخليلته لمدة عامين وما زالا معاً، في المكتب وفي الطائرة الخاصة وعلى ظهر اليخت، لكنه قال يذكرها: «ولكن نحن ليس بيننا

علاقة، أليس كذلك؟ لقد أخطأ كل منا في محاولته إغواء الآخر مرة. لكننا لن نرتكب ذلك الخطأ مرة أخرى... أليس كذلك»؟

ـ ماذا؟ آه، لا. طبعاً لا.

قالت هذا بجزم، لكن القلق والتردد ما زالا في عينيها وأدرك أن بقية من المشاعر مازالت تمتلكها كما تتملكه هو.

تباً لذلك، تباً! تصور أن بإمكانه نسيان هذا الموضوع تماماً وخنق مشاعره نحوها تماماً. وقال بجفاء: «ولكن هناك شيء واحد».

ـ نعم؟

ـ مظهرك....

ـ نعم؟

لم يكن جاستين واثقاً من قبولها بما سيطلبه منها، لكنها كانت الطريقة الوحيدة التي ستساعده على الالتزام بالعهد الذي قطعه على نفسه: «لا أدري إذا كنت ستغيرين طراز الملابس التي سترتدينها في العمل من الآن فصاعداً. أعني... يا راشيل لا أريدك أن تدخلي المكتب بملابس قد أجدها... تلهيني عن عملي».

أغمضت عينيها عدة ثوانٍ وهي تزم شفتيها الجميلتين ثم عادت ففتحت عينيها ورفعت ذقنها بإشارة تمرد: «جاستين... أنا آسفة، لكنني أرفض العودة إلى مظهري السابق. لا أستطيع. إنني أفضّل الاستقالة على ذلك».

ـ استقالتك هنا خارجة عن الموضوع!

قال هذا بحرارة، ثم تملكته الدهشة. فهذا ما كان يحاول أن يدفعها للقيام به.. الاستقالة. وإذا به يدرك، عندما قالت إنها قد تفعل ذلك، أن ليس هذا ما يريده. إنه يريد راشيل أن تبقى، وتعمل لأجله. إنه يريد... يا إلهي... لم يعد يعرف ما يريد.

وأخيراً، كبح آهة سأم وهو يقول: «البسي ما تشائين وإنما في حدود التعقل، طبعاً».

www.elromancia.com

ـ لم أكن قط من أولئك الفتيات اللاتي يرتدين ملابس مثيرة أثناء العمل، يا جاستين. أنا فقط لا أريد أن أعود إلى ارتداء تلك البذلات السوداء الفظيعة باستثناء يوم غد، إذ ليس لدي ملابس أخرى للعمل حتى أخرج للتسوّق. سأخرج في ساعة الغداء فأشتري ثوبين أكثر تألقاً.

ـ أرجو ألّا يكونا متألقين أكثر مما يجب.

تمتم بذلك، خائفاً من أي شيء قد يجذب نظراته ويزيد من شوقه إليها: «وماذا عن شعرك»؟

ـ ماذا عنه؟ لا تقل لي بأنه أكثر تألقاً مما يجب أيضاً

أراد أن يقول لها لا، بل هو اليوم أكثر إثارة. لكنه ردّ بيأس: «هل لك أن تعيديه إلى طرازه السابق المعتاد؟ دوماً كنت أراه مناسباً تماماً للعمل».

فتنهدت: «حسناً، سأرفعه إلى الأعلى».

ـ ثم لا إسراف في الماكياج؟

ـ لم يسبق لي قط أن أسرفت في وضع الماكياج. وحالياً لا أضع سوى احمر الشفاه.

ـ أحقاً؟

بإمكانه أن يقسم أنها تضع أكثر من ذلك بكثير. فبشرتها نقية للغاية، ومع ذلك بدت وجنتاها متألقتين. أما بالنسبة إلى عينيها... واللتين يعتبرهما أجمل ملامحها.. ولكن هل كان لهما دوماً هذه الأهداب الطويلة؟

وقالت بشيء من الضيق. «لا تقلق يا جاستين، فأنا لن أدخل المكتب وأنا أرقص كامرأة مستهترة متمايلة كراقصة مثيرة.

يا لها من فكرة مغرية! وكبح آهة وهو يتساءل إلى متى ستبقى راشيل مصدر عذاب له؟ لأسبوع؟ لشهر؟ لسنة؟

وتمنى لو أنه لم يقترح عليها قط تبديل مظهرها الليلة الماضية. إنه يريد راشيل القديمة أن تعود إليه. كانت رقيقة هادئة. لكن راشيل الجديدة هذه تمتاز بكل شيء ما عدا الهدوء حتى أنه الآن يريد أن يحيطها بذراعيه ليغرقها

بكل أنواع المشاعر الحميمة. فهو يلمح في نظراتها شوقاً مشابهاً لشوقه إليها. وسيكونان دائماً معاً طيلة النهار في المكتب.

أوقفه إدراك مرعب مفاجيء. ما كان يفكر فيه مشابه تماماً لما حصل مع ماندي ورئيسها. وجمد دمه لهذه الفكرة. وكان هذا حسناً، حسناً جداً وفعّالاً للغاية!

لقد هدمت مشاعره على الفور. وهذا ما عليه أن يفعله في المستقبل. سيفكر في ماندي كلما هاجمته هذه الرغبة في معانقة راشيل.

ومن المؤسف أنه لم يفكر في تلك الساقطة الليلة الماضية، ولكن، كما يقول المثل: «أن تصحو متأخراً خير من ألا تصحو مطلقاً».

أدركت راشيل أن مزحتها الصغيرة قد أتت بعكس النتيجة المرجوة فقد تصلب ظهر جاستين وبدت على ملامحه مسحة من عدم الرضى. لقد أصبح فجأة غاية في الاحتشام.

ومع ذلك، ربما هو كذلك من الأساس... رجل محتشم!

مهما يكن، بدا واضحاً أنه ندم في أعماقه على محاولته التحرش بها ومعانقتها وهو الآن يبذل جهده للعودة بعلاقتهما إلى وضعها المهني السابق، حتى إنه يريدها أن تعود إلى مظهرها السابق المعتاد.

أمرك أيها الغلام الكبير! هكذا فكرت بتمرد خفي. إذا كنت تريدني فتاة عديمة الجمال والأناقة، لماذا تهتم أنت بمظهرك إذن؟ لماذا لا تدع جسمك يكتسب عشرين كيلوغراماً؟ لماذا تختار ملابسك التي ترتديها في المكتب من أرقى المتاجر وأغلاها؟

منذ اللحظة التي وقعت عيناها عليه مرة أخرى هذا الصباح، تسارعت خفقات قلبها وأخذت عيناها تلتهمانه. بصراحة، لم تستطع أن تمنع نفسها من التحديق إليه. كان جاستين يرتدي بنطلوناً أنيقاً كاكي اللون مع القميص الأسود المفتوح عند العنق. أحست بالامتنان لأنه لم يكن يرتدي بنطلوناً قصيراً كالذي كان يرتديه بالأمس والذي أظهر عضلات ساقيه

القوية السمراء، فكل تدريباته تلك في غرفة الرياضه قد انتجت جسماً عابه في الروعة

عنّفت راشيل نفسها بشدة ثم نهضت واقفة «سأصنع قهوة تتناسب مع هذا الطعام»

قالت هذا وهي تنظر باستسلام إلى الطبقين المليئين بمختلف أنواع الشطائر الموضوعين على المائدة، مازالت فاقدة الشهية وتحتاج حتماً إلى عون لدفع الخبز داخل حلقها.

فقال جاستين وهو يقف بدوره: «لست مضطرة لأن تخدميني. سأساعدك».

قيامهما بتحضير القهوة معاً بدا مربكاً، فما إن احتكت ذراعه بذراعها حتى قفزت مبتعدة وكأنما لسعتها نحلة. وعندما حملق فيها أجفلت من داخلها

بدت أشبه بقطة على سطح صفيح ساخن، فأقل لمسة منه كانت تلذعها كالنار وأملت في أن يخف هذا التأثر مع مرور الوقت، وأن تتحسن الأمور عندما يعودان إلى نظام العمل اليومي، ذلك أن وجودهما معاً وحدهما في هذا الفندق بعيدين عن حياتهما الحقيقية، كان يزيد الأمر سوءاً.

ارتجفت يد راشيل وهي تحمل كوبها وصحنه، فاندلق بعض القهوة في الصحن. ورمقها جاستين بنظرة أزعجتها للغاية، فقالت بحدة. «لا بأس! لا يمكننا أن نكون جميعاً كاملين طوال الوقت»

ـ اتضح لي ذلك منذ الليلة الماضية.

رد عليها بهذا وهو يحمل كوبه عائداً إلى الشرفة من دون أن يُهرق منه قطرة

تبعته وهي تشتعل غضباً. إنه حقير حقاً، وهي التي كانت تظنه دوماً رقيقاً ها هو يضع اللوم عليها من جديد بسبب تصرفها الليلة الماضية مع أنه هو الذي عاد وعانقها ولو لم توقفه عنده حده من يدري ماذا كان سيحصل

بينهما؟

حسناً، لن تتراجع! إنها حرة الآن. تحررت من إربك... من الماضي أصبحت حرة في أن تكون المرأة التي تريد أن تكونها. وهذا يعني أنها لم تعد تلك المخلوقة الناعمة اللسان التي تخاف من أن تتكلم أو تحقق ذاتها كيلا تخسر وظيفتها. هناك كثير من وظائف السكرتيرات، فهي ليست بحاجة إلى جاستين ماكارثي لكي يتحكم بمظهرها ووظيفتها.

بالرغم من الاستياء الذي تملكها، قررت أن تمسك لسانها هذا النهار، لكي تتمكن من احتمال صحبة جاستين أثناء الساعات القليلة القادمة. ولكن إذا أراد غداً أن يضغط عليها لكي تعود إلى ما كانت عليه فهي ستبدأ بالبحث عن وظيفة أخرى.

ذلك أن لا عودة إلى الوراء بعد الآن.

* * *

٩ ـ هروب ودموع

دخل جاستين مكتبه في الصباح التالي، متأخراً نصف ساعة. لم يستطع تصديق ما رأى وهو ينظر إلى راشيل مرتدية ما كان دوماً يظنه أكثر ملابسها كآبة: بذلتها السوداء. بدت تلك البذلة الآن مغرية إلى حد كبير.

بدت السترة المفصلة بشكل صارم بعيد عن أي زخرفة بكمين طويلين وقبة نقليدية، الآن أكثر ضيقاً وإحكاماً على خصرها وصدرها. أتراها جعلتها أقصر؟ لا شك أنها قصرت التنورة. أدرك ذلك عندما أحضرت له القهوة. رفع بصره إلى وجهها. نعم، لقد رفعت شعرها، كما طلب منها، ولكن ليس بالطريقة التي كانت تتبعها من قبل بشده إلى الخلف وجعله «كعكة». كان مرفوعاً إلى أعلى باسترخاء بدبوس طويل أسود يتحرك بسهولة، وقد أفلتت منه عدة خصلات والتوت حول ذقنها جاذبة نظره إلى فمها.

أطبق أسنانه بقوة وحوّل نظره إلى عمله، ثم قال بجفاء: «ضعي القهوة هناك يا راشيل وشكراً».

ثم أشار إلى بقعة خالية إلى جانب يده اليمنى. وعندما تباطأت أمام المكتب من دون أن تقول شيئاً اضطر إلى أن يرفع بصره إليها ويقول بحدة: «نعم؟ ماذا هناك»؟

فسألته: «هل يمكنني أن أتأخر قليلاً في فرصة الغداء؟ عليّ أن أشتري بعض الملابس، وسأتأخر في العمل لأعوض عن ذلك التأخير».

لم يعد يهتم بنوع ما ستشتريه من الملابس. فهي لن تبدو أمامه أكثر إثارة ولو حاولت، على كل حال. وهكذا قال بفروغ صبر وهو يشير لها بالانصراف: «نعم، نعم. خذي كل الوقت الذي تشائين».

ـ هل أنت متأكد؟

فأجاب بحدة: «نعم يا راشيل، متأكد تماماً، والآن، أرجو أن تعذريني. عليّ أن اكتب هذا التقرير لأجل غاي».

ـ أتراني سمعت اسمي يُذكر هنا؟

قال الرجل هذا وهو يدخل المكتب.

رحّب جاستين بهذه المقاطعة، وقال مسروراً للعثور على عذر يتجاهل به راشيل «آه، أراك عدت من ملبورن بأسرع مما كنت أتوقع. كيف حال أبيك؟»

ـ إنه بحال أفضل. أصيب بأحد تلك الفيروسات السيئة وكانت حالته سيئة جداً يومي الجمعة والسبت، لكنه أخذ يتعافى منذ الأمس. وهكذا، ما هو رأيك في فندق «حدائق الشمس»؟

ـ اجلس وسأخبرك، أغلقي الباب خلفك يا راشيل من فضلك.

ولاحظ جاستين أن عيني غاي تبعتاها وهي تخرج. وعندما انغلق الباب خلفها أطلق صفيراً طويلاً ثم قال بلهجة ذات معنى: «إذن فهذه سكرتيرتك الجديدة؟ يا لك من محظوظ! أنا أعشق النساء الجميلات في اللون الأسود».

ـ لا شيء هناك بيني وبين راشيل.

قال جاستين هذا ليوقفه عند حده وقد تحجرت ملامحه.

ضحك غاي بهدوء: «إنها مشكلتك ولن تتحوّل عنها. أنت رجل حكيم. من الأفضل أن تبقى علاقات المكتب خلف الأبواب المغلقة، وخلف أبواب غرف الفنادق. وهكذا، كيف كانت حفلة عطلة الأسبوع؟ هل مضى كل شيء كما تريد».

وارتسمت على فمه ابتسامة عريضة ذات مغزى. قرر جاستين أن

يتجاهل تلميح غاي البارع وانشغل بإعطائه تقريره عن الفندق. لم يذكر له أنهما لم يحضرا حفلة التكريم بل ترك غاي يعتقد العكس. وكان جاستين قد رأى شريط الفيديو الذي أخذ لذلك العشاء الليلة الماضية ولم يغيّر رأيه بالنسبة إلى الفندق رغم الدعاية المنمّقة له.

أنهى حديثه قائلاً: «وهكذا، هذا هو رأيي المهني، إضافة إلى أنني أراه مشروعاً فاشلاً. كما التقطت بعض المعلومات الثمينة من خلال حديث مع سمسارة عقارية كانت هناك تمضي العطلة المجانية. ويبدو أنها موكلة شخص ينوي شراء الفندق بأي ثمن. وأنا لا أظن أبداً أن المزايدة مع شار من ذلك النوع هي فكرة جيدة».

ـ قد تكون تلك الوكيلة مخادعة؟

ـ نعم، لكنني لا أظن ذلك.

ـ همم... هل تمكنت من معرفة اسم ذلك الشخص المهتم بالفندق؟

ـ لا، علمت فقط أنه بالغ الثراء، ومغرور بكبر حجم دفتر شيكاته.

ـ سمعت همساً بأن كارل تومبس يفكر في الذهاب إلى سوق العقارات في تلك الناحية.

جاهد جاستين لإبقاء وجهه جامداً. لا أحد في هذه الشركة يعلم ظروف طلاقه. لا أحد يعلم أن زوجته السابقة كانت خليلة كارل تومبس السرية. لا أحد سواه وماندي وأمه.

دفعته كرامته إلى أن يحفظ هذا السر فيما بينهم. وطبعاً، لم يكن بإمكانه أن يظهر أي ردة فعل إزاء اسم كارل تومبس عدا عن ردة الفعل المهنية.

قال بهدوء: «من المؤكد أن لذلك الرجل نفس الصفات التي ذكرتها موكلته عنه. قالت إن موكلها يحصل دوماً على ما يريد، ولا قيمة عنده للمال».

أليس تلك هي الحقيقة؟ لقد رغب في امرأة متزوجة كانت تحب زوجها، حينذاك، من أعماق قلبها، وجاستين مازال يؤمن بذلك، فأفسدها

بأمواله وقدرته على فهم النساء وجرأته.

كان جاستين يكره هذا الرجل المشبوب العواطف، كما يكرهه الكثير من الناس في استراليا، خاصة أولئك الذين استثمروا أموالهم في بعض مشاريعه السابقة «مشاريع الثراء السريع» والتي نجح بعضها، لكن معظمها قد فشل. ومع ذلك، كان تومبس دوماً يخلص نفسه من دون أن تُمس ثروته. فلديه محامون بارعون ومحاسبون لامعون، كما أن لديه الكثير من الصلات السياسية والإجتماعية. تزوج كارل تومبس مرتين ولديه ابنة راشدة من زواجه الأول وابنان مراهقان من زوجته الحالية، وهو في أوائل الخمسينات من العمر، لكنه يبدو أصغر بكثير وهذا يعود إلى اهتمامه بنوع غذائه وإلى التمارين الرياضية وجراحة التجميل.

عندما ابتدأت ماندي العمل عند كارل تومبس، أخذت تؤلف النكات عن تفاهته وغروره البالغ، وكان جاستين يشاركها في ذلك، لكن تلك النكات انقلبت عليه بدلاً من كارل الذي سلبه زوجته.

التفكير في ماندي وذلك الحقير، جعل مزاجه يتحول إلى الشر: «أرجو أن يشتري تومبس ذلك الفندق، وأرجو أن يخسر نقوده فيه، من باب التغيير».

وبدت البغتة على غاي «يبدو أنك فقدت بعض أموالك في أحد مغامراته الشهيرة».

صرّ جاستين بأسنانه... لقد فقد ما هو أغلى من الأموال: «فلنقل إنه لا يجب أن يصادفني في زقاق مظلم مسدود في ليلة ظلماء».

فضحك غاي «كنت أظنك لا تخطىء أبداً في الأمور المالية».

ـ كلنا نخطىء، يا غاي. هذا ما تعلمناه.

ـ وماذا علّمك الاشتباك مع تومبس؟

ـ أن لا أبخس أبداً من قيمة رجل يملك من المال أكثر مما أملك.

فأومأ غاي بحكمة: «هذا صحيح. لا بأس، وهكذا ليس من رأيك أن

أضمن نجاح صفقة شراء ذلك الفندق؟».

ـ لا، مادمت تحرص على وظيفتك.

ضحك غاي ثم وقف: «إلى اللقاء صباح غد في غرفة الرياضة».

ـ تماماً.

ـ لا تجهد نفسك في العمل.

ـ أنت لا تعني ذلك حقاً.

فابتسم غاي: «لا. بل أرجو أن تبذل جهدك، فقد ازدادت الأرباح منذ حضورك إلينا».

ـ أخرج من هنا، ثم أخبر راشيل بأن تحضر لي فنجان قهوة آخر عندما تمرّ بها، فقد أصبح هذا الفنجان بارداً.

ـ سأفعل، وقد أجلس لأنظر إليها وهي تعدّه أيضاً. لتلك الفتاة مشية لا تصدّق لكنني أظنك تعلم هذا، يا ماكارثي.

ثم سار نحو الباب: «لا عجب في أنك تتدرّب كل صباح حتى توشك على السقوط إعياءً. ليس من السهل أن تبقي يدك بعيدة عن تلك الحلوة هنا».

فزمجر جاستين: «أخفض صوتك يا غاي بحق الله، فقد تسمعك. ألم تسمع عن التحرشات أثناء العمل»؟

فقال غاي وهو يضع يده على مقبض الباب من دون أن يديره: «قد أكون مخطئاً، لكنني لمحت شيئاً في عينيّ سكرتيرتك الجميلتين جداً. يبدو أنها تكنّ لك مشاعر خاصة، وقد لا يزعجها أن تتحرش بها».

ـ لا تكن سخيفاً!

ـ أنا لست سخيفاً، فقد درست لغة الأجسام عندما خضعت لدورة تسويق مبيعات مؤخراً إنها مفتونة بك، يا زميلي، أنا واثق من ذلك. لكني أرى أن أمرها لا يهمك، يا للفتاة المسكينة! أظن أن عليها أن تبحث لنفسها عن رجل طويل وأسمر ووسيم آخر يهتم لأمرها. لا بأس! من المؤسف أنني

لا أملك هذه المواصفات، وإلا لمنحتها ذلك الاهتمام، صدقني. لا بأس، لابأس، ليس عليك أن تجيب، تباً لك! وأنا لن أنسى القهوة وأنا خارج.

لم ينسَ، لسوء الحظ. إذ سرعان ما كانت راشيل تتقدم نحوه بالقهوة. بدت مليئة بالأنوثة. هل كان غاي على صواب؟ وهل يمكن أن تكون مفتونة به حقاً لذاته وليس لمجرد ردة فعل منها تعوضها عن إريك الهجين؟ أتراها تتمنى سراً أن يهتم لأمرها حقاً؟

هذه الفكرة أثارته وأقلقته معاً، فهو لا يحبها. لن يحبها أبداً. إنه لم يعد قادراً على ذلك النوع من الحب بعد الآن. لم يعد قادراً على إنشاء علاقة، مهما كان عمقها.

أخذ ينظر إليها وهي تضع القهوة ثم ترفع بصرها إليه متوقعة: «هل هذا كل شيء حالياً؟»

هل هو كذلك؟ ما الذي ستفعله إذا هو أراد معانقتها؟

رجفة من الشعور بالإشمئزاز من نفسه، أم لعله شعور بالإثارة، سرت في كيانه. لا يستطيع أن يفعل ذلك. لن يفعل!

ـ راشيل...

ـ نعم؟

ـ لا شيء. هذا كل شيء ويمكنك أن تعودي إلى عملك. آه، ويمكنك أن تأخذي طيلة فترة ما بعد الظهر إجازة للتسوّق، إذا شئت.

فقالت بدهشة: «طيلة فترة ما بعد الظهر؟»

ـ نعم. لمَ لا؟ أنت تستحقين ذلك بعد العطلة الأسبوعية تلك.

كان يعني أنها تستحق ذلك لأنها عملت وقتاً إضافياً لأجل الشركة، ولكن عندما أظلم وجهها أدرك على الفور أنها أساءت تفسير كلماته.

ـ أتعني كتعويض عن الكرامة المجروحة؟

ـ لا. كلا بالطبع. إسمعي، إذا كنت ستأتين على ذكر هذا الأمر طوال الوقت، لا أدري إذا كنا ستتمكن من الاستمرار في العمل معاً.

لم يكن جاستين بحاجة إلى دراسة لغة الجسد لكي يلاحظ ردة فعلها إزاء كلامه الظريف ذاك. فقد تصلب جسدها بأكمله، كما أن عينيها طعنتاه في صميم قلبه. وقالت بصوت بارد كالثلج: «فهمت. جميل أن أعرف ما هو الوضع بيننا الآن. ستجد استقالتي على مكتبك قبل أن أذهب للغداء. ثم نعم، سآخذ طوال بعد الظهر إجازة، وشكراً جزيلاً».

ثم استدارت وغادرت الغرفة صافقة الباب خلفها. انهار جاستين على كرسيه وهو يتأوه. لقد فعلها الآن، وهو لم يشعر في حياته كلها بالحقارة التي يشعر بها الآن. ووضع رأسه بين يديه وأخذ يطلق على نفسه كل أنواع النعوت التي تخطر بباله.

* * *

لم تستطع راشيل أن تجلس إلى مكتبها لتعود إلى العمل بهدوء. بل أخذت تدرع أرض المكتب رواحاً ومجيئاً، بغضب بالغ عدة دقائق، ثم سارت إلى غرفة الشاي وسكبت لنفسها قهوة طازجة تشغل بها نفسها وفي الواقع وضعت فنجان القهوة على المنضدة من دون أن تمسه ووقفت تحاول أن تتمالك نفسها

يبدو أن إيزابيل على صواب بالنسبة للعلاقات في المكتب، لكنها لن تخبر صديقتها الحميمة بذلك. أليس هذا ما يحدث دوماً في أمكنة العمل؟ الرئيس يفلت من العقاب بينما تُطرد الموظفة من العمل؟

وشعرت بحافز يدفعها إلى العودة إلى جاستين لكي تصارحه برأيها هذا، لكن كبرياءها منعتها من ذلك. الكبرياء والمنطق!

فنظراً إلى نقص خبرتها العملية مؤخراً، كانت بحاجة إلى شهادة خدمة، ولن يجرؤ جاستين على عدم إعطائها هذه الشهادة، وإلا فهي ستثير المشكلات في وجهه إذا احتاج الأمر.

لكن قلبها لا يطاوعها على عمل كهذا. لا إنها ستستقيل بكل بساطة وإلى جهنم بجاستين ماكارثي. وفي الواقع، إلى جهنم به بقية هذا النهار.

ستكتب استقالتها الآن ثم ترحل. وتنفق كل سنت في حساب توفيرها على شراء ملابس جديدة!

تركت قهوتها من دون أن تمسها، ثم اندفعت عائدة إلى مكتبها وبدأت بكتابة استقالتها.

كان جاستين يحدق في إحدى شاشات أجهزة الكومبيوتر، متظاهراً بالعمل عندما انفتح باب مكتبه وسارت راشيل إليه متوهجة الوجنتين رافعة الرأس. ثم خبطت الرسالة المطبوعة أمامه: «هذه استقالتي. سأبقى في العمل، مهلة الأنذار، ثم أتوقع منك شهادة خدمة ممتازة، رغم أن الله وحده يعلم كيف سأفسر سبب تركي وظيفتي هذه بعد وقت قصير كهذا. لكنني أظنها مشكلتي أنا. ثم إنني سآخذ بقية اليوم إجازة ابتداء من الآن!»

- راشيل، لا...

- لا ماذا؟

- لا تستقيلي.

قال هذا بسأم، ثم أجفل عندما قالت بحدة: «فات الأوان. وأرجوك ألا تتظاهر بأن هذا ليس ما تريده. فأنت تسعى إلى هذه اللحظة منذ اليوم التالي لعناقنا».

ولم يستطع جاستين أن ينكر ذلك.

- أتساءل عما إذا كان هذا ما حدث بينك وبين الفتاة السابقة.

- راشيل، أنا لم أكن أعني أن..

- فقاطعته بعنف: «بل كنت تعني ذلك. لكنني سأنهض مرة أخرى. لقد اعتدت هذا يا جاستين ماكارثي. وسترى».

ورآها تخرج بكرامة بالغة من مكتبه، فشعر بإعجاب نحوها بشكل لم يعرفه من قبل. لكنه لم يصرخ بها لتعود.

من الأفضل لها أن ترحل قبل أن يؤذيها حقاً. ومن الأفضل له أن يزحف عائداً إلى كهف عزوبته، ويعود إلى عمله!

شعرت راشيل بعينيها تغرورقان بالدموع وهي تهبط بالمصعد إلى الردهة. لقد زال غضبها وحلّ مكانه تعاسة لم تكن تتوقعها. وتملكها الذعر وهي تدرك أنها أحبت جاستين، وأحبت حقاً العمل معه.

أنت أحببت العمل معه، كما هتف بها صوت صادق في أعماقها.. وهذا هو السبب في شعورك هذا بالتعاسة. وكل محاولاتك الأنثوية بأن تبدي هذا الصباح جميلة أمامه، كانت إضاعة للوقت.- كنت أقسمت على ألا تستعملي آلة الخياطة تلك مرة أخرى، فماذا فعلت؟ أخرجتها الليلة الماضية من مكانها في قعر الخزانة واشتغلت عليها حتى منتصف الليل في إعادة خياطة هذه البذلة السوداء التعيسة. وماذا فعل هو؟ لم يكد ينظر إليك.

لم يعد يريدك. وفي الحقيقة، لم يكن يريدك من قبل، فما الذي وضع هذه التصورات في ذهنك؟ كل ما في الأمر أنه وجدك في متناول يده عندما ثارت مشاعره. فقد قال هذا أمس، وأنت الآن تذكرينه بقذارة سلوكه الذي يريد أن ينساه.

وعندما وقف بها المصعد، كانت عيناها تسبحان في الدموع، فهربت إلى استراحة السيدات ولم تخرج منها إلا بعد أن جفت دموعها وعادت إلى طبيعتها.

لكنها لم تعد تشعر بالرغبة في شراء ملابس. وماذا يهم ما تلبسه بالقرب من جاستين؟

وتوجهت لتنادي سيارة أجرة، مثقلة بهمومها، مصممة على الذهاب إلى بيتها.

- راشيل... إنتظري.

ناداها صوت رجل فخفق قلبها وهي تلتفت. لكن لم يكن جاستين من يسرع خلفها في الردهة، بل إريك.

***

١٠ - أعادها الحب

هتفت راشيل بجفلة: «إريك! ما... ما الذي تفعله هنا؟»

أدركت أنه يبدو سؤالاً سخيفاً فهي تعلم أن أريك يعمل دوماً في «منطقة الأعمال» في سيدني، وليس مستغرباً أن تلتقي به بعد أن أصبحت تعمل في هذه المنطقة.

ولكن أن تلتقي به بعد ثلاثة أيام فقط من لقائها به في ساحل الذهب بدا لها أكثر من مجرد مصادفة

- كنت أبحث عنك. سألت عن رئيسك فعلمت أنه يعمل في هذا المبنى

فقالت ببرودة: «يا لك من مقدام!».

- ربما ليس لديّ سوى الإقدام.

وابتسم تلك الابتسامة التي كانت تجدها ذات يوم ساحرة. لكنها لم تعد ترى الآن في إريك شيئاً ساحراً لم تعد تراه رائعاً كذلك، رغم أن أناقته مازالت لا تُضاهى فبذلة العمل السوداء التي يرتديها تساوي ثروة، ولا بد أنه أمضى نصف ساعة على الأقل في تمشيط شعره وتنظيمه هذا الصباح. لا شك أن إدراكه أن الصلع يدب فيه بسرعة كان يقتله، كما فكرت بشيء من الحقد.

وسألته بفتور: «لماذا كنت تبحث عني؟»

- كنت قلقاً بشأنك

لو أن إريك عرض عليها الزواج في تلك اللحظة، لما كانت دهشتها أكثر مما كانت عليه لجوابه ذاك.

- رباه، ولماذا؟

- هل يمكننا الذهاب إلى مكان ما والتحدث على انفراد؟ هناك مقهى قريب. ما رأيك في الذهاب إليه؟

هزت كتفيها بعدم اكتراث: «إذا كنت مصراً على ذلك».

لم ينطق بكلمة إلى أن وصلت القهوة. ولم تلحّ راشيل عليه رغم فضولها. لقد مضت الأيام التي كانت تنتظر بلهفة كل كلمة ينطق بها.

- أنت لم تأت إلى حفلة العشاء ليلة السبت.

بماذا ستجيبه؟ عادت بذاكرتها إلى تلك الليلة وقررت أن تتابع القصة التي اخترعتها يومها: «لم يكن هناك حاجة لذلك بعد أن اجتمع رئيسي بموكله».

- هل قرر السيد وونغ عدم شراء الفندق؟

احتفظت راشيل بهدوئها وهي تقول: «لا تتوقع مني أن أتحدث عن أعمال رئيسي معك. أليس كذلك؟ إذا كان هذا سبب مجيئك. لكي تستخلص مني معلومات لأجل صديقتك، إذن فقد أضعت وقتك، وكذلك ثمن هذه القهوة».

وعندما همّت بالوقوف، قال بسرعة: «لا، ليس هذا هو السبب. جئت لأحذرك بالنسبة إلى رئيسك».

عادت راشيل إلى الجلوس وهي تطرف بعينيها: «تحذرني بالنسبة إلى جاستين؟»

- إسمعي، أعرف أنني سببت لك الألم في الماضي فأنا لست أحمق. ربما تكرهينني من أعماقك، وأنا أفهم ذلك. لكنني لا أكرهك. بل في الواقع، أظن أن افتراقي عنك كان غلطة كبرى، فأنت سيدة غير عادية، وتستحقين من الحياة ما هو أفضل من الارتباط بشخص مثل جاستين ماكارثي.

فتحت راشيل فمها لتنكر أي علاقة لها بجاستين، لكنها فضلت السكوت لتسمع ما يريد إريك أن يحذرها منه، ثم إن علاقتها بجاستين أو

بسواه ليست من شأن إريك.

فقالت بجفاء: «لا أدري ما الذي تتحدث عنه، جاستين رئيس رائع، ورائع في كل شيء آخر. ما الذي تحذرني منه بالنسبة إليه؟».

فضحك: «عليّ أن أشهد له بالمهارة في التمثيل. لكنه لا يحبك يا راشيل. إنه يستغلك فقط».

فقالت وهي تجاهد للسيطرة على غضبها: «كم هو لطيف منك أن تخبرني بذلك! هل لي أن أسأل ما الذي جعلك تقول هذا وما هي الدلائل؟ أم أن السبب هو أنك عندما تنظر إلي تجد امرأة حمقاء مثيرة للشفقة لا يمكن أن يحبها رجل؟»

- لا شيء فيك أحمق يستدعي الشفقة يا راشيل، وأنت تعلمين هذا. فأنت مازلت جميلة رائعة كما كنت دوماً. ولكن لديك عيب واحد، وهو أنك تعشقين الأوغاد.

فقالت بحرارة: «أنا لا أحب رئيسي».

ولكن وجهها بدا متوهجاً، عندما أخذت عينا إريك تتفحصانها

فقال: «هذا ما أرجوه. لأنه رجل منحرف مليء بالمرارة. وهو معذور في ذلك، فأي رجل في مكانه سيكون كذلك بعدما ما فعلته به زوجته»

جف فم راشيل: «ماذا. ماذا فعلت به زوجته؟»

- أدركت أنك لا تعرفين، فالرجل لا يحب التحدث عن هذه الأمور. لم تتعرف إليه شارلوت ليلة السبت الماضي حين قدمته إلينا فاسمه ليس لامعاً إلى هذا الحد لكنها أخذت تفكر في أمره الليلة الماضية، ثم قامت باستعلام حذر، وإذا بها تكتشف أنه الرجل نفسه.

- إريك، هل لك أن تقول بالضبط ما الذي جئت لتقوله؟

- روجة رئيسك السابقة هي السكرتيرة الشخصية لكارل تومبس وأعني الشخصية جداً. إنه يدفع لها أجرة الشقة ويأخذها معه إلى كل مكان لهذا السبب تركت زوجها، لأنها تريد أن تقيم مع رئيسها المتألق في

www.elrmandia.com

المجتمع. تعرفين كارل تومبس أليس كذلك؟

ـ طبعاً أعرفه. مع أنني تركت ميدان العمل لعدة سنوات، لكنني لم أكن ميتة. لا أظن أن هناك في أستراليا من لا يعرف كارل تومبس.

ـ لا بأس، لا بأس. لا تغضبي. كارل تومبس هو موكّل شارلوت الذي سيشتري الفندق. وبسبب علاقتهما العملية، شارلوت على اتصال دائم بسكرتيرته الشقراء الرائعة الجمال. وأنت تعرفين أن النساء يحبين الثرثرة، وقد أسرّت زوجة ماكارثي السابقة إلى شارلوت ذات يوم، ببعض أمورها فيما هما تتناولان الغداء معاً. يبدو أن ماندي مازالت تعاني من شعور بالغ بالذنب تجاه زوجها السابق. لقد أخبرت شارلوت كم حطمه هجرها له. اعترفت لها بأنها قالت له كلاماً فظيعاً لكي يكرهها وينساها. لكنها لا تستطيع نسيان ذلك التعبير الذي بدا على وجهه حين أخبرته بأنها على علاقة مع كارل تومبس منذ فترة. يبدو أنها كانت تحب زوجها وكان هو مجنوناً بها، لكنها، ببساطة، لم تستطع أن تقاوم تفوّق تومبس. أظن أنها حطمت قلب زوجها بتركها له. على أي حال لا شيء كان سيمنع كارل من الحصول عليها.

لم تنبس راشيل بكلمة. كانت مشغولة جداً باستيعاب أخبار إريك، فتابع يقول: «هكذا أصبح جاستين رجلاً مليئاً بالمرارة. ولأنني أعرفك، يا راشيل، خشيت أن تصدقي أنه يحبك. فأنت لست من نوع الفتيات اللاتي يقبلن بعلاقة عابرة مع الرجل من دون حب. فالانتقام هو الذي يقود رئيسك هذه الأيام لا الحب».

ـ أنت لا تعرف ما الذي تتحدث عنه، يا إريك. أولاً، أنا لا أحب جاستين. لم أتصور لحظة واحدة أنه يحبني.

فقطب إريك جبينه: «ما الذي بينكما، إذن؟»

ـ هذا شأني، ألا تظن ذلك؟

ـ لكنك على علاقة معه. أليس كذلك؟

ـ وهذا شأني، أيضاً.

ـ إسمعي. أنا فقط أريد مصلحتك يا راشيل. أمرك يهمني.

فضحكت: «منذ متى، يا إريك؟ هل أنت واثق من أنك لم تبحث عني اليوم، لأنك سئمت من شارلوت ففكرت في أن تحصل على تسلية من المرأة التي طالما اعتبرتها أمراً مسلّماً به؟»

ـ أنا لم أعتبرك قط أمراً مسلّماً به يا راشيل، بل أحببتك بطريقتي الخاصة. فقط ظننت أن زواجنا لن ينجح طالما أنت تقومين بعمل يومي بدوام طويل. وأنا رجل أناني، أعترف بهذا، فقد أردت من وقتك أكثر من ذلك. أردت زوجة تعتبرني أول اهتماماتها.

ـ إذن، ألا يبدو اختبارك لشارلوت غريباً؟ لأن أول اهتماماتها هو وظيفتها، وثاني اهتماماتها هو نفسها

ـ أعرف هذا، ولهذا لم أتزوجها. أما أنت فقد أردتك زوجة لي، يا راشيل، وما زلت أريدك.

ـ آه، أرجوك، دعني جانباً، وشكراً على القهوة.

قالت هذا وهي تنهض من دون أن تمس فنجانها: «وشكراً لأخبارك الممتعة! لقد أديت لي خدمة كبرى لأنك أخبرتني عن زوجة جاستين السابقة. فقد جعل هذا الأمور أكثر وضوحاً بالنسبة لي».

وكان هذا صحيحاً فمع أنها لا تعلم كل التفاصيل عن أفكار جاستين ومشاعره، لكن الذي يقوده ليس الانتقام. لأن الانتقام سيبدو مختلفاً جداً سواء كان ذلك في المكتب أو خلال العطلة الأسبوعية. لو كان يبغي الانتقام لاستغلها هي.

ابتعدت راشيل عن إريك من دون أن تلقي نظرة إلى الخلف، وقد شغل جاستين عقلها كلياً. لم تبالغ والدة جاستين أليس وهي تصف زوجة ابنها بأنها ساقطة. ومن الأفضل لجاستين أن تخرج امرأة كهذه من حياته لكن المشكلة أنه لم يدرك ذلك بعد.

ربما، وربما لا، من الواضح أنه كان غارقاً في غرام تلك «الماندي»، وربما ما يزال كذلك. من الصعب التكهن. ومع ذلك، الزمن يشفي كل الجراح. فها هي مثلاً قد شفيت بعد أن كانت تظن ذات يوم أن الشمس تشرق من إريك، وقد حطمها هجره لها. واليوم لم يختلج فيها عصب واحد وهو يخبرها بأنه مازال يريدها زوجة له. لم يعد ذلك الرجل يعني لها شيئاً. شعورها بالتحرر منه كان رائعاً.

تكهنت راشيل بأن جاستين لم يتحرر بعد من زوجته السابقة... من شقرائه السابقة الرائعة الجمال. هكذا قال إريك. لابد أنها رائعة الجمال رائعة للغاية... لأن رجالاً مثل كارل تومبس لا يلتفتون للنساء الدميمات. إنهم يختارون نساء رائعات الوجوه والأجساد. نساء ضعيفات أمام المال.

لا عجب في أن جاستين وجد في القهوة ما ينسيه همومه. لقد فهمت راشيل هذا تماماً، لكن الوقت حان لكي ينسى الماضي ويتقدم إلى الأمام، كما قررت هي أن تفعل.

طبعاً اقتضى ذلك منها أربع سنوات لكي تشفى قلباً وعقلاً. أما خيانة زوجة جاستين وهجرها له فلم يمض عليهما وقت طويل بعد، فقد حصل ذلك منذ سنتين فقط. وقد قالت له تلك المرأة أشياء فظيعة، حسب قول إريك.

ما نوع تلك الأشياء؟ أخذت راشيل تتساءل وهي تستقل المصعد إلى الطابق الخامس عشر. أتراها انتقدت رجولته؟ يصعب عليها تصديق ذلك ربما أخبرته تلك المرأة الحقيرة بأنه ليس غنياً أو قويّ النفوذ بما يكفي. من يدري؟

لا تجرؤ راشيل على أن تسأله عن هذا الأمر طبعاً، لكنها وجدت الجرأة على أن تعود، وتخبره بأنها غيّرت رأيها بالنسبة إلى الاستقالة. وجدت الجرأة لتبقى، وتساعده على تخطي معاناته كما فعلت هي.

وفي الواقع، لم تستطع أن تمنع نفسها من التفكير في ذلك. فهي قد ذاقت مرارة الهجر والخيانة، وتعرف عذابهما. قد تكون مخطئة، لكنها تكهنت بأنها أول امرأة يغازلها جاستين منذ تركته زوجته.

جعلها ذلك تشعر بالحيرة والغضب معاً. الأنانيون مثل إريك وماندي مسؤولون عن ذلك إلى حد كبير. فهل من العدل أن يفلتوا من العقاب لاستهتارهم بمشاعر وحياة الآخرين فيما يعاني الآخرون بسبب قسوتهم؟ على الشخص أن يواجه ويقاوم... وأن يتوقف عن تمثيل دور الضحية ويتقدم إلى الأمام، حيث سيجد أناساً آخرين وشركاء آخرين. ولكن عليه أولاً أن يكون راغباً بذلك، أن يحتضن التجارب الجديدة لا أن يهرب منها.

خرجت راشيل من المصعد راكضة إلى مكتبها، ثم لم تلبث جرأتها التي وجدتها حديثاً أن بهتت حين وصلت إلى الباب الذي كانت صفقته خلفها منذ أقل من ساعة. وفجأة راحت تعض شفتها السفلى وأحست بألم في معدتها. هل مازال جاستين هناك خلف ذلك الباب؟ جالساً أمام أجهزة الكومبيوتر؟ ربما. موعد الغداء لم يأت بعد، وليس لدى رئيسها سبب يدفعه إلى الذهاب إلى بيته. ليس لديه في حياته سوى عمله، وكرامة جريحة وقلب محطم.

كان ذلك صحيحاً حتى الآن. والآن، أصبحت هي لديه. صداقتها ومحبتها! ستقف إلى جانبه ولو كلفها ذلك التراجع عن موقفها السابق. شعرت بالارتجاف في يدها، لكنها استجمعت شجاعتها وطرقت الباب. لكنه كان طرقاً خجولاً جباناً. اغتاظت من نفسها فلم تكرر الطرق. وبدلاً من ذلك أدارت أكرة الباب ثم دخلت.

ـ آه، كلا!

تأوهت وعيناها تجولان في أنحاء مكتب جاستين الخالي.

كانت تصارع خيبة أملها عندما سمعت جلبة صادرة من إحدى الغرفتين الملحقتين بالمكتب. تلك الغرفة التي تحتوي على براد وأريكة. وقبل

أن تحوّنها شجاعتها مرة أخرى سارت إلى الباب وفتحته.

كان جاستين ممدداً على الأريكة وقد غطى وجهه بيديه. ورأت راشيل في إحدى زوايا الغرفة بقايا الزجاج المتناثر. يبدو أنه رمى أرضاً بالكوب الذي كان يحمله. نظر إليها وقد بدا الذهول على وجهه ما إن سمع صوت الباب وهو ينفتح. لم يكن يتوقع أن يرى راشيل مرة أخرى، خصوصاً هذا النهار. بعد أن غادرت المكتب، حاول أن يعمل، لكنه كان عاجزاً عن التركيز للكآبة التي تملكته. وأخيراً جاء إلى هنا يبحث عن شراب يريحه. ويبدو أنه شعر بالضيق فرمى بكوب العصير الفارغ أرضاً فتناثرت شظايا الزجاج في كل مكان من الغرفة.

واندفعت تسأله: «ما الذي تراك تفعله؟»

لهجة الإتهام في صوتها، بالإضافة إلى ظهورها غير المتوقع، أثارته: «ماذا تريدني أفعل؟ شربت العصير وتخلصت من الكوب. هل لديك اعتراض؟».

ـ ولكن... منظرك يبدو غريباً. فأنت تبدو غاضباً جداً وهذا ليس من عاداتك.

فقال بجفاء: «في هذا أنت مخطئة، فأنت لا تعرفينني جيداً، ولا تعرفين إن كنت أغضب كثيراً أم لا».

وفي هذه الأثناء كان جاستين قد استقام في جلسته، فنظر إليها ملياً منتظراً أن ترد عليه أو تخبره على الأقل لما عادت بعد أن قدمت استقالتها.

ـ لا تفعلي هذا!

زجر بذلك عندما أسرعت وأخذت تلتقط قطع الزجاج المتناثر أرضاً. تباً لكل ذلك! آخر شيء يريده هو أن تبدأ بالانحناء هنا وهناك أمامه.

تجاهلته وتابعت لملمة بعض قطع الزجاج الكبيرة، وهي تقول: «سنأتي بمن ينظف هذه الفوضى. لا ينبغي لك أن تبقى وحدك أبداً».

قالت هذا وهي تنتصب واقفة وتضع قطع الزجاج في محرمة ورقية.

فقال بحدة، وقد شعر بالانزعاج من وجودها بشكل لا يصدّق: «وماذا يهمك أنت؟ فأنت لست حارستي. حتى أنك لم تعودي سكرتيرتي».

ـ بل أنا كذلك إذا كنت ما تزال تريدني للعمل عندك. عدت لأخبرك بأنني لا أريد أن أستقيل. أريد أن أستمر في العمل معك.

فضحك: «وتظنين هذا خبراً طيباً؟ ماذا لو قلت لك إنني لا أريدك أن تعملي عندي بعد الآن؟ ماذا لو قلت لك إن استقالتك هي ما كنت أريد؟»

ـ أنا لن أصدقك.

ـ إنها لا تصدقني.

تمتم بذلك غير مصدّق: «ماذا عليّ أن أقول لكي أجعلك تصدقينني؟»

ـ ليس عليك أن تقول شيئاً.

قالت هذا وهي تمنحه إحدى نظراتها المتمردة. تباً لها! إنها تقتله بنظراتها، وبذلك الفم المتمرد. قال مصمماً على أن يصدمها لكي ترحل مرة أخرى: «ماذا لو أخبرتك بأنني منذ ليلة السبت، كلما نظرت إليك أرغب في معانقتك؟».

لم تجبه راشيل بكلمة واحدة وإنما حدّقت إليه بصمت. فتابع يقول بانفعال متعمد: «هذا ليس كل شيء. عندما أحضرت لي تلك القهوة هذا الصباح بعد أن خرج غاي، لم تكن القهوة ما أردته بل أنت. أردتك أن تأتي إلي، فأعانقك وأشعر بحرارة جسدك بالقرب من جسدي».

اتسعت عينا راشيل لكنها لم تقل شيئاً. بدت وكأنها تسمرت في مكانها، وقد جمدتها اعترافاته المفزعة. لن تستسلم بسهولة بل عليه أن يتجاوز مشكلته أولاً فيتخلص من عقدة زوجته السابقة قبل أن يبدأ بمغازلتها. وهي التي ستساعده على ذلك.

ـ حسناً؟ ماذا كنت ستفعلين لو أنني قمت بذلك؟

وأخيراً قالت بذهول: «لا... لا أعرف».

ـ ماذا تعنين بقولك إنك لا تعرفين؟

قال هذا بحدة وقد ضاق بهذا الجواب الغامض.

- أعني إنني لا أعرف، فقد كنت غاضبة منك حينذاك. لماذا لا تسألني الآن؟

يا الله، كانت تعني ذلك. تعنيه حقاً!

اشتدت قبضة يده على حافة الأريكة ودار رأسه.

أيّ أمل في أن يستمر في مقاومة الإغراء قد تبدّد الآن. وقف جاستين وسار نحوها متردداً.

- كنت أريد أن أفعل هذا.

قال هذا ومد يده يزيل دبوس الشعر عن رأسها. وعندما انسدل شعرها حول وجهها وكتفيها، بدت في عينيه نظرة غريبة، وكادت للحظة تتراجع لتهرب من جديد من جاستين ومن نفسها.

إلا أنها تذكرت كلام إريك عن هذا الزوج المحطم الفؤاد. كيف يمكنها أن تلومه على قسوته تلك وعدم حساسيته؟ ستكون صبورة معه إلى أن يتخلص من شعوره بالمرارة وينسى حبه لزوجته السابقة، وعند ذلك تأمل بأنه سوف يدرك حبها له ويحبها هو أيضاً. فقالت متلعثمة: «لا أطلب ذلك منك، كل ما في الأمر أنني أود متابعة العمل معك. أما فيما يتعلق بتلك.. الجاذبية بيننا.. فأنا واثقة أن بإمكاننا التعامل معها كشخصين راشدين يدرك كل منهما حدوده فلا يتجاوزها. ألا توافقني الرأي؟»

مع أنها قالت ذلك، إلا أن مشاعرها الحقيقية كانت تتجاوز كل الحدود.

أصيب جاستين بالدهشة لكلامها. كان يرى الرغبة في عينيها فكيف يمكنها والحال هكذا أن تكون بهذه الصلابة؟

وإذا به يتقدم نحوها وفي عينيه إعجاب من نوع آخر، إعجاب مشوب بالامتنان. وعانقها لكن عناقه كان مختلفاً هذه المرة.

* * *

١١ ـ هل ينتصر الحب؟

وصلت راشيل إلى البيت ذلك المساء حوالي السابعة، وكان جرس الهاتف يرن. ركضت لتجيب آملة أن يكون جاستين هو المتصل.

- نعم؟

- راش. كنت على وشك وضع السماعة.

ولم يكن هذا جاستين طبعاً. بالراشيل الغبية!

- إيزابيل! لماذا تتصلين وأنت في شهر العسل؟

- آه، لا تكوني غبية، يا راش! حتى في شهر العسل يمكن أن نتذكر أصدقاءنا.

وضحكت. فكادت راشيل تصرخ، بينما تابعت إيزابيل: «ريف يأخذ غفوة الآن ففكرت في أن أغتنم الفرصة لأتصل بك وأسألك عن الأحوال عندكم. واتصلت أيضاً بأمي وأبي فلا تبدأي بإلقاء محاضرة عليّ».

- أنا لا ألقي عليك محاضرات، يا إيزابيل، خصوصاً بعد الآن. فقد تغيرت الأحوال هذه الأيام.

- ربما أنت على حق، مع أنك لن تكفّي عن القيام بذلك أحياناً. والآن أخبريني، كيف حالك مع الوظيفة؟

- بأحسن حال!

قالت هذا بمرح متكلف.

- أما زلت منسجمة مع ذلك المتذمر على الدوام؟

ـ جاستين ليس رجلاً متذمراً. إنه رزين فقط.

وبالرزانته... كما فكرت راشيل وهي ترتجف.

ـ في هذه الحالة، أظن أنه ليس شاذاً فهؤلاء لا يكونون أبداً رزينين.

فقالت راشيل بصوت بالغ الجفاء: «جاستين ليس شاذاً بكل تأكيد».

فسألتها صديقتها بارتياب: «أحقاً؟ هل تتكلمين عن خبرة أم ماذا؟».

فكرت راشيل أن التهكم هو أفضل ما تقوم به لتتجنب الإحراج. هكذا لن تضطر إلى أن تخبر إيزابيل عما بينها وبين رئيسها. لأن إيزابيل ستبدأ بإطلاق الأحكام القاسية، فهي نفسها أوشكت على ذلك: «نعم، طبعاً. ألم أذكر ذلك؟ إنه لا يستطيع أن يبعد يده عني. ما إن ينتهي عناق حتى يبدأ آخر، في مكتبه في غرفة الاجتماعات، وحتى في مكتبي. ومع الوقت سوف نصل إلى أبعد من ذلك طبعاً».

تأوهت إيزابيل ساخطة: «لا بأس، لا بأس. فهمت المضمون».

لا، لم تفهمي شيئاً، كما فكرت راشيل، ثم تابعت بسرعة: «ولكن فلنترك الحديث عني. أخبريني إلى أين ذهبت في شهر العسل؟»

ـ نعم، طبعاً. نحن نمضي شهر العسل في هونغ كونغ. وقد عشقناها كثيراً. متاجر الأزياء خلاّبة. اشتريت مجموعة كاملة من الملابس، فأنت تعرفين ريف، إنه يريدني أن أرتدي ملابس مثيرة، وكل ثيابي في الوطن هي رزينة متحفظة.

لكن راشيل لم تكن ترى ملابس إيزابيل متحفظة قط... بل كانت تقليدية فقط.

وقالت إيزابيل: «يمكنك أن تأخذيها، إذا شئت».

ـ ماذا؟ كلها؟

ـ خذي كل ما تركته ورائي، بشرط أن ترتديها، طبعاً. هذه هي الإتفاقية. عليك أن ترتديها، وأثناء العمل أيضاً. حان الوقت لأن تتخلصي من تلك البذلات السوداء الفظيعة. وأنا واثقة من أن رئيسك يمكنه مواجهة

ذلك، تعرفين أن أياً من ثيابي القديمة ليست فاضحة أو مثيرة، إنها تقليدية لكنها ليست متزمتة كثيابك. ويمكنك أيضاً أن تأخذي الأحذية التي تتلاءم معها، لأن قياس أرجلنا واحد.

ـ نعم، أعلم هذا، ولكن هل أنت متأكدة من أنك لا تريدينها؟

ـ بكل تأكيد. وفي الواقع، يمكنك الحصول على كل ما في ذلك البيت من أغراض. خذي كل شيء... حقائب اليد، والحلي، وأدوات الزينة، ومستحضرات التجميل، وأي شيء تجدينه. فأنا لن أحتاج إليها بعد اليوم.

ـ هل تعنين ذلك حقاً يا إيزابيل؟ أنت أنفقت ثروة صغيرة على كل هذه الكماليات.

ـ لم أعد بحاجة إلى أي منها. اسمعي لقد أحضرت معي كل ما أريده منها، بما فيها الحلي. وما تركته وهو حلي عادية كنت قد اشتريتها لتتناسب مع تلك الملابس التي أعطيتها لك لتوّي. خذي كل ما تجدينه. وإذا لم تستعمليها كلها ستذهب سدى. إنني أبدو بمظهر جديد الآن، من الرأس إلى القدمين. اشتريت أيضاً بعض أثواب الحبل الرائعة لألبسها عندما يبدأ جسمي بالتضخم. آه، أنا متلهفة للعودة إلى الوطن لأريك كل هذا.

ـ متى ستعودين بالضبط؟

ـ بعد أسبوعين، ويصادف ذلك يوم السبت. ستصل الطائرة ظهراً. سأتصل بك عندما نصل إلى بيت ريف ويمكنك أن تأتي إلينا في الليلة نفسها لتتعشى معنا.

لم يكن ثمة خوف من أن تكون مشغولة بقضاء الوقت مع جاستين يوم السبت. فجاستين لا يريد أن يقيم معها علاقة حقيقية. وعليها ألاّ تبني آمالاً على ذلك في المستقبل القريب. لذا لن يكون بينهما مواعدة خلال نهاية الأسبوع بالتأكيد، لأنهما اتفقا على أن لا يلتقيا في العطل الأسبوعية. كانت راشيل مستعدة للموافقة على أي شيء، على أن تبقى بقرب جاستين إلى أن تتمكن من الوصول إلى قلبه.

كانت تعلم في أعماقها أنها كمن يسير على البيض. وليس عليها أن تستهين من درجة تحطم قلبه، والظلمة التي تحيط بروحه المرهقة فإذا كان إريك قد آذاها، فإن جاستين يمكن أن يدمّرها. لكنها شعرت بدافع قوي لأن تتابع خطتها حتى النهاية.

- آه، الأفضل أن أذهب يا راش. يبدو أن ريف استيقظ من نومه سأراك قريباً.

قالت إيزابيل هذا بسعادة، ثم أقفلت الخط.

وتمتمت راشيل بأسى وهي تضع السماعة: لا داعي للقلق، أنت لديك ريف. لكن الأمر مع جاستين يختلف تماماً

إذا كانت إيزابيل تظن ريف رجلاً ممتازاً فذلك لأنها لا تعرف جاستين وارتجفت وهي تفكر بما تشعر به نحوه.

فمع أنها أظهرت له أنها تتحلى بالمنطق والصلابة، لكن ما إن أخذها بين ذراعيه حتى كادت تذوب كالشمع. هذه الذكرى بعثت في نفسها أكثر أنواع المشاعر إثارة.

لم يكن ثمة طريقة تجعلها تتخلى عن العمل مع جاستين باختيارها ما من طريقة تجعلها تهرب الآن وتبحث عن وظيفة أخرى ستبقى بقربه لتحبه، وتحبه.. أما هو فقد يرغب بها لكنها غير واثقة إن كان سيحبها يوماً. وربما لن يتزوجها أبداً. كما ذكّرت نفسها. وانقبض قلبها للفكرة الأخيرة، لكن هذا لم يمنعها من الركض إلى خزانة إيزابيل لترى ما يناسبها لكي تلبسه لأجل جاستين غداً. شيئاً تقليدياً ولكن مثيراً جالت ببصرها على صفوف طويلة من البدلات ذات الألوان الهادئة وجذبت بدلة زرقاء فاتحة اللون، ثم أعادتها إلى مكانها لم ترغب في لبس سنطلون. بل تريد شيئاً ذا تنورة، إما طويلة واسعة وإما قصيرة ضيقة أي شيء يجذب عيني جاستين ويجعلها تظهر أنوثتها، فهي تريده متلهفاً إليها كما هي متلهفة الآن إليه.

لفتت نظرها بذلة ذات لون تبني وبلوزة بلون الخردل الذهبي بكمين طويلين، لكن لا بأس بذلك. جوّ سيدني مازال بارداً، ملبداً بالغيوم. وهذه تبدو ثياباً مناسبة.

وضعت البذلة على السرير ثم أخذت تبحث بين أزواج الأحذية إلى أن وجدت حذاء وحقيبة يد مناسبين. كما وجدت في صندوق الحليّ عقداً من اللؤلؤ مع قرطين مناسبين: بدت هذه الحلي حقيقية مع أنها من اللؤلؤ الزائف. هذه المرة سترفع شعرها إلى أعلى بطراز متزمّت، يظهر عنقها وأذنيها. ولكي تعوّض عن ذلك، عليها أن تكثر من زينة الوجه، خاصة عند العينين. وراشيل تعلم أن عينيها جميلتان. يبدو أن جاستين مفتون بهما لكنه لا يعي ذلك، وقد أدركت ذلك من نظراته الغريبة إليها.

آه، ثم ينبغي أن تضع عطراً. أحد تلك العطور الفرنسية التي كانت إيزابيل تفضلها دوماً. وكانت قد لاحظت وجود عدة زجاجات غير فارغة تماماً موضوعة في خزانة الجدار. ستجرب عطراً جديداً كل يوم.

خلعت ثيابها ثم جربت ثياب إيزابيل الأنيقة وسرها أنها ناسبت قوامها تماماً، وأدهشها ذلك لأنها أنحف عند الوركين والخصر، من إيزابيل. ربما اشترت هذه الملابس السنة الماضية عندما كانت تتبع برنامجاً للنحافة. بدت البلوزة ضيقة قليلاً عند الصدر، فخلعتها راشيل ووجدت أن فيها ثنيات داخلية على الظهر. ومرة أخرى لجأت إلى ماكينة الخياطة لتسويتها. وما هي إلا دقائق حتى راحت تقيسها ثانية فإذا هي مناسبة تماماً. سارت راشيل لترى صورتها في المرآة داخل باب الخزانة، فأعجبها ما رأته وقالت لنفسها: هذا ما يجب أن تكوني عليه حقاً، راشيل المتألقة دوماً. سوف نرى أيها الرجل العنيد، من الذي سينتصر في النهاية، الرغبة أم الحب؟

* * *

١٢ ـ اخترتك أنت

رفع جاستين بصره إلى راشيل وهي تضع القهوة على مكتبه. بدت متألقة ورائعة الجمال ككل يوم. لقد مضى حوالي أسبوعين على تلك الحادثة، حين استقالت ثم عادت عن استقالتها، ومنذ ذلك الوقت يشعر أنه على فوهة بركان. فهو يحاول تجاهلها لكنه لا يستطيع حقاً. ولكن فكرة أخرى خطرت له: اليوم هو الجمعة مرة أخرى. وهذا يعني أنه لن يرى راشيل أثناء اليومين التاليين أبداً، لن يشعر بقربها منه طوال النهار.

عطلة الأسبوع الماضية كانت لا تُطاق من دونها. وربما ستكون هذه العطلة أسوأ. وصمم جاستين على أن يدعوها إلى العشاء الليلة، ما من ضير في ذلك.

إنه يجد صعوبة في البقاء يومين من دونها. وتسارعت خفقات قلبه.

ـ هل تريد شيئاً آخر؟

ـ ماذا؟ نعم... راشيل..

وتلاشت الكلمات عن لسانه لكن عيناه كانتا مثبتتين عليها. اشتبكت نظراتهما وابتدأت المرئيات حولهما تختفي ببطء. وفجأة، لم تعد ترى سواه، والطريقة التي كان ينظر بها إليها.

ولم تدرك راشيل كيف أصبحت بين ذراعيه شعرت بساقيها بثقل الرصاص وبدأ رأسها يدور وخفقات قلبها تقرع بقوة داخل صدرها

كانا قد اتفقا ألّا يحاول أحدهما أن يغوي الآخر وألّا تكون بينهما

علاقة سوى علاقة العمل، فلا يدعوها إلى العشاء أو الخروج أو يزور أحدهما الآخر في منزله. والتزمت هي بذلك تماماً. كذلك جاستين فهو لم يحاول التقرب منها ولم يشعرها بأي عاطفة تجاهها. لكنها ترى يومياً مشاعره في نظراته. ألن يكون لها أمل بحبه؟ وترقرقت الدموع في عينيها.

* * *

ـ ظننتك قلت إنك لن تدعوني قط إلى العشاء.

قالت هذا بفضول وبدا في صوتها شيء.. كالأمل.

انفجار راشيل ببكاء غير متوقع جعل جاستين يصمم على دعوتها إلى العشاء وكأنه شعر بمعاناتها من دون أن يدرك دوره في ذلك. لم يكن أحمق تماماً أو نذلاً، حتى ولو كان يتعمد الظهور بهذا الشكل ولم يستغرق الأمر منه طويلاً ليدرك أن امرأة في مستوى راشيل وحساسيتها لا يمكن أن ترضى بتعامله معها بدون أن يبدي تجاهها أي عاطفة أو مشاعر.

وهكذا أخذ يواسيها قدر إمكانه، ثم أعلن أنه يكاد يموت جوعاً. مضيفاً أنه لا يريد شيئاً من ذلك الطعام الذي يرسل إلى البيوت والذي كانا أحياناً يطلبان إرساله إلى المكتب. إنه يريد وجبة محترمة في مطعم محترم.

بالرغم من لمحة خاطفة من الدهشة، لم تظهر أي اعتراض. وهكذا حجز مائدة في أقرب مطعم.

وبعد ذلك بربع ساعة كانا جالسين إلى مائدة مضاءة بالشموع، وراشيل تلقي عليه هذا السؤال عن سبب تغييره للشروط التي بينهما.

حدّق إليها وفكّر في مبلغ جمالها في ضوء الشموع. بدا ثوبها الليلكي البسيط أنيقاً وتقليدياً جداً وكذلك جميع الملابس التي ترتديها أثناء العمل كانت تقليدية أنيقة.

قال بهدوء: «نعم، هذا ما كنت قد قلته. لكن الأمور تتغير يا راشيل. وأنا أرى أن الوقت حان لكي نتحدث».

هل هو ذعر ما بدا في عينيها؟ أم خوف؟ خوف من ماذا؟ من أن يبعدها

عنه قبل أن تتمكن من الوصول إلى قلبه؟

لم تكذب عليه حين قالت إنها على ما يرام. فهي تحب أن تبقى الأمور كما هي عليه.

ظنت راشيل أنه يريد أن يتصافيا قبل الفراق.

آه، رباه، لا يمكنها أن تتحمل الابتعاد عنه. ربما كان يتوقع أن تتذمر من تصرفاته فترغب بالخروج. لكنها بقيت صامتة لذا رأى أن عليه هو أن يأخذ المبادرة.

ـ حقاً، إننا لا نستطيع الاستمرار بهذا الشكل، يا راشيل.

قال هذا فانفتحت في داخلها فجوة كبيرة مظلمة.

ـ لماذا؟

قالت هذا مجاهدة في أن تبدو هادئة منطقية بينما عالمها يتفكك.

وتنهد: «اسمعي. أرى الآن أن الأمور أصبحت في خطر التعقد».

ـ لمَ تقول هذا؟ لقد فعلت كل ما طلبته مني.

فحَدّق إليها: «نعم، هذا صحيح. اسمحي لي لحظة».

شعرت بالحذر يجتاح أطرافها، وتناهى إلى مسامعها صوت جاستين وهو يكلم النادل كأنه مجرد تتمة بعيدة. كان ذهنها يدور ويدور. ما الذي ستفعله إذا قال إنه لا يريدها في مكتبه بعد الآن؟

ـ راشيل...

ـ ماذا؟

طرفت بعينيها ثم حاولت أن تتمالك نفسها.

ـ ذهب النادل.

ـ آه، نعم. ذهب إذن.

ـ الأمر هو، يا راشيل، أنا لا أريد أن نستمر هكذا كما نحن.

أومأت وفمها كالصحراء جفافاً: «نعم، هذا ما استنتجته».

كان صوتها ميتاً، أجوف.

ـ أريد أن نجرب شيئاً طبيعياً نوعاً ما.

رفعت رأسها بحدة وقد استدارت عيناها.

ـ قلت لك من قبل بأنني لا أريد علاقة حقيقية معك، وعنيت ذلك طوال الوقت. وإلى درجة ما، مازال ذلك حقيقياً. الحب والزواج ليسا في حسابي، ولهذا لن أدّعي بأنني أقدم إليك أيّ أمل بذلك. لكنني أريدك حتماً في حياتي، يا راشيل، ليس فقط سكرتيرة خاصة. أريد أن أخرج معك وكذلك، نعم، أذهب معك إلى بيتك. عطلاتي الأسبوعية موحشة للغاية. عطلة الأسبوع الماضية كانت... لا تُطاق.

ـ وكذلك عطلتي

وافقته على الفور وقد انتعشت معنوياتها لما يقول.

ـ وهكذا فكرت في أن نجرب هذا النوع من العلاقات.

جاهدت كي لا تبكي: «أنا... هذا يعجبني كثيراً جداً».

ولم تعرف كيف ابتسمت

وبادلها الابتسام: «لا أستطيع أن أعدك بأكثر من ذلك».

ـ لا بأس بذلك كبداية.

أجفل قليلاً «اسمعي، لا أريد أن أعطيك أملاً كاذباً. أظنني أحتاج إلى الصحبة فقط»

ـ لا مانع لدي

ـ ظننتك سترفضين الفكرة

ـ إنك مخطىء، ثم إنك لا تحب كلمة «لا»

ـ صحيح إنها ليست كلمتي المفضلة، وخصوصاً بالنسبة إليك أصرف أنني بعد عودتنا من تلك العطلة، أصبحت أجد التركيز على عملي صعباً

ـ مسكين جاستين

ـ لا يبدو عليك الشفقة إلى هذا الحد

www.elromancia.com

ـ لأنني لا أشعر بذلك.

قالت هذا بابتسامة صغيرة جافة ربما لم يقدّم جاستين لها الدنيا، ولكن أن تصبح صديقته الخاصة هو تحسن كبير في علاقتهما.

سألته مترددة: «هل... هل يمكن أن أخبر إيزابيل عنا؟ إنها ستعود غداً من شهر العسل».

ـ نعم، إذا شئت.

كانت راشيل تتوقع أن تصاب إيزابيل بالصدمة إذا أخبرتها بذلك لكن على الأقل أصبح بإمكان راشيل الآن أن تقول إنها صديقة حقيقية له. وربما سيصبح بإمكانهما الخروج مع ريف وإيزابيل معاً.

مال جاستين برأسه جانباً يتأمل وجهها: «آسف بشأن ذلك العناق. لم أتمالك نفسي.. هل أذيت مشاعرك»؟

فهتفت محمّرة الوجه: «لِمَ تقول هذا؟ هذا ليس صحيحاً».

ـ ودموعك..؟ لماذا بكيت إذاً؟

ابتلعت ريقها ثم نظرت إليه: «ربما لأنني متعبة ولم أتوقع ذلك».

ـ كنت قلقاً من أن تظني أنك تحبينني.

فقالت من دون أن يطرف لها جفن: «أبداً».

وكانت هذه كذبة حقيقية، فهي واثقة من أنها تحبه: «أنا.. أنا أعترف بأنني استأت قليلاً. أنت فقط.. فاجأتني...»

فقال عابساً: «الحق معك. هذا خطأ مني لا يُغتفر. لكنني أرفض أن أتحمل اللوم كله، فأنا أمنع نفسي منذ أسبوعين عن ذلك، فيما تبدين أنت أمامي أكثر تألقاً يوماً بعد يوم، ثم إن هذا العطر الذي تضعينه يجب أن يمنع بيعه».

سجلت راشيل في ذهنها أن تشتري زجاجة كبيرة من هذا العطر. إذا كانت لم تستطع الحصول على حب جاستين، يمكنها على الأقل أن تضمن استمرار تعلقه بها.

وسألته بلهفة: «وهكذا، إلى أين ستذهب في أول موعد لنا؟».

ـ نحن الآن في أول موعد.

ـ آه، هذا صحيح.

ـ سأوصلك إلى منزلك بعد العشاء

تملكت راشيل الآن دهشة حقيقية، عندما قال إنه سيوصلها إلى البيت. إنه تغيير كبير في موقف جاستين منها. وأضاف: «إذا كنت تحبين ذلك».

ـ نعم، شكراً لك. وأنت أخبرني أين تسكن؟

ـ أنا أعيش في شقة مفروشة في كيريبيللي، لا أريد شراء بيت هنا بينما أنا مصمم على إنشاء شركتي المستقبلة خارج المدينة. أرغب في شراء بيت بطابقين وهكذا يمكنني السكن فوق المكتب، فأنا أكره تضييع الوقت في رحلة الذهاب إلى العمل والمجيء منه. كيريبيللي ليست بعيدة جداً من هنا، فهي بعد الجسر مباشرة. تبقى مشكلة إيجاد موقف بالإضافة للسيارة وإلى المواصلات العامة.

ـ أعلم تماماً ماذا تعني. أنا لا تهمني الرحلة بالقطار كثيراً طالما أجد مقعداً. إذن كيف يبدو بيتك في كيريبيللي؟

ـ إنه جميل الطراز وعصري تماماً، لكنه من دون روح. إنه بحاجة إلى ألوان. لا شيء فيه مميز.

ـ يبدو أنه كالبيت الذي أسكن فيه، فألوانه باردة بلون القشدة. أنا أفضل الألوان كثيراً والغرفة المريحة والمكتظة بالأشياء. هكذا أريد أن يكون بيتي، مهما كان صغيراً، وأن أعلق الكثير من اللوحات على جدرانه وأزينه بتحف كثيرة وإن كانت عديمة القيمة.

ـ يبدو هذا أشبه ببيت أمي. ما من مكان خالٍ على الجدران أو على أي من قطع الأثاث. إنها مدمنة على جمع التحف. يجب أن تأتي إلى بيتها وتري مجموعاتها من الخزف الصيني، فهذه وحدها تملأ خزانتين.

طرفت راشيل بعينيها بدهشة: «أتعني أنك ستخبر أمك عنا؟»

ـ هل هناك سبب يجعلك تخفين أمر صداقتنا؟

ـ لا لا أظن ذلك لكنك تعرف الأمهات. ربما ستبدأ بالتفكير في أننا سنتزوج ذات يوم

ـ لا أهتم بما قد تفكر. ينبغي عليها أن تعرفني جيداً لكي تعلم أن هذا لا يمكن أن يحدث. والآن، لماذا لا تفكرين في ما ستطلبينه للعشاء؟

وافقته بسرور، مع أن بعض الذعر بدا على وجهها من قوله إنه لن يتزوجها أبداً. بقدر ما حاولت راشيل أن توحي إلى نفسها بأنها مسرورة لهذا النوع من العلاقة الذي عرضه جاستين عليها، إلا أنها، في أعماقها، كانت تعلم أن هذا لن يعوضها عن الزوج والأسرة.

وإيزابيل ستعتبرها حمقاء. من المؤكد أنها ستقول: ماهذا الذي تفعلينه، يا راش؟ أتضيعين سدى مزيداً من حياتك على رجل آخر لن يتزوجك ولن يعطيك أولاداً؟ أنت في الحادية والثلاثين من عمرك. إكبري وانبذيه وابحثي عن وظيفة أخرى.

لكن القول أسهل من العمل. والحب يجعل الإنسان أحمق، ومتفائلاً دائماً. كلما فكرت بمنطق كلما شعرت أنها تضيّع وقتها سدى. إلا أنها ظلت تحدث نفسها بأنه، ربما يوماً ما، سينسى زوجته السابقة ويحبها هي. ربما، إذا بقيت معه دوماً، سيعي ذات يوم أن هناك امرأة تحبه ولن تهجره أبداً. امرأة ستمنحه حياة جيدة، وأولاداً إذا شاء. لاشك أنه سيكون أباً رائعاً. إنها واثقة من ذلك. وهي... إنها متلهفة إلى أن تكون أماً رائعة ونظر إليها: «ماذا اخترت؟».

اخترتك أنت، أخذت تفكر وقد انقبض قلبها. أنت فقط.

* * *

١٣ ـ انتظري حتى ترينه

استيقظت راشيل في منتصف الصباح والشمس تشعّ من نافذة غرفة النوم ورائحة القهوة الطازجة تعبق في المكان. كانت تسمع صفير جاستين من مكان ما.

بدا سعيداً، وكذلك هي، نسبياً.

ما حصل معها الليلة الماضية منحها بعض الأمل في أن جاستين قد يغير موقفه من العلاقة بينهما. ففيما هما خارجان من المطعم بعد أن أنهيا العشاء، تعثرت راشيل على السلم والتوى كاحلها. ولم تعد تقوى على السير. فاقترح جاستين أن يأخذها إلى منزله لأنه أقرب من منزلها. فيعتني بها وهكذا يمكنها أن ترتاح في اليوم التالي وهو يوم عطلة. كان رقيقاً بشكل لا يصدّق. لقد احتضنها بعد ذلك بين ذراعيه، مملساً على شعرها وظهرها، من الغريب أنها شعرت، حينذاك، برغبة في البكاء، لكنها قاومت ذلك، والحمد لله. لأن جاستين ما كان ليفهم سبب ذلك. وقد استغرقت أخيراً في النوم. فتركها ترتاح وخرج هو لينام في غرفة أخرى.

وها هي ذي الآن، مرتاحة كلياً، ومدهوشة كلياً...!

ـ رباه، الفطور في السرير!

هتفت بذلك عندما دخل جاستين بمعطفه المنزلي الكحلي اللون وهو مل صينية.

ـ سوف تبقين في السرير طيلة النهار إلى أن يزول الألم. لا أحب أن غيب سكرتيرتي في بداية الأسبوع.

جلست ودفعت شعرها عن وجهها إلى الخلف، وجذبت ملاءة السرير

إلى أعلى فيما وضع هو الصينية في حجرها.

ـ آه، هذا جميل. شكراً لك.

تمتمت بذلك وهي تنظر إلى عصير البرتقال الطازج والبيض المقلي على الخبز المحمص، بالإضافة إلى بعض البندورة المقلية وقطعة من اللحمة.

ـ أنا عادة، أتناول القهوة مع الخبز المحمص فقط. ماذا ستأكل أنت؟

ـ سبق وتناولت فطوري.

قال هذا وهو يجلس على كرسي إلى جانب السرير، وعيناه تنظران حيث كانت ساقاها ممدودتين تحت الأغطية.

ـ كيف أصبح كاحلك. هل لا زلت تتألمين؟

ـ لقد وقفت منذ قليل ودخلت إلى الحمام فلم أشعر بالألم.

ـ الحمد لله.

بدا جاستين رائعاً، بالرغم من شعره الأشعث ولحيته النابتة في ذقنه. وبدت عيناه الزرقاوان الممتلئتان حيوية صافيتين متألقتين، إلا أن هالة سوداء ظهرت تحتهما. لابد أنه لم ينم جيداً مثلها. قالت تؤنبه: «أراهن على أنك لم تتناول فطوراً كهذا».

ـ بل تناولت، واستمتعت بكل لقمة منه. وأنا الآن سأستمتع بالنظر إليك وأنت تأكلين فطورك. أنت بحاجة إلى أن تسمني، يا فتاتي.

ـ آه، أتظنني نحيلة جداً؟

سألته وصورة جسدها المفزعة تتمثل لها.

ـ مع ذلك فأنت جميلة جداً. أنا واثق من أنك تعلمين ذلك، ولكن ليس لديك الكثير من الاحتياط.

ـ إذا ازداد وزني، لن تلائمني ملابسي الجديدة الجميلة كما أن المستديرات عندي ستبدأ بالنمو، كالعادة.

ـ لابأس من بعض اللحم على مستديرات المرأة. من المؤسف أن وزني الزائد لا يذهب إلى حيث يجعلني أفضل منظراً. إنه عادة يطوّق خصري

ـ كيف تقول ذلك وليس على جسمك أي وزن زائد؟

ـ أنت لم تريني منذ عام ونصف. كنت أشبه بكيس البطاطا.

ـ لا أصدقك لديك أحسن جسم رأيته لرجل، هذا إلى ستة أقدام من الطول تجلب الحسد. فأنت لست بحاجة إلى أي زيادة في الوزن أو الطول.

حملت ضحكته تسلية جافة: «أنت تحاولين إرضاء غروري كرجل، أتعلمين هذا؟»

تكهنت راشيل بأنها على نقيض زوجته السابقة في ذلك. قول جاستين إنه كان يعاني من زيادة في الوزن منذ عام ونصف، جعلها تخمّن بأن المرأة التافهة التي كان قد تزوجها ربما كانت تنتقد مظهره. وتذكرت راشيل أن جاستين أشار مرة إلى أنه يظن نفسه زرياً مملاً. أترى تلك المرأة كانت تضعف من ثقته بنفسه من كل النواحي؟ لتبرّر سلوكها المقزّز وعدم إخلاصها؟

هذا أكثر من مجرد احتمال. فالمذنب غالباً ما يبحث عن أي عذر يبرّر تصرفاته المفزعة.

أدركت راشيل كيف يمكن لمثل هذا الانتقاد أن يحطم نفسية الرجل. لابد أن جاستين يعلم الآن أن تلك المرأة لم تحبه قط. فالحب الحقيقي لا يتأثر مطلقاً بأشياء تافهة سطحية مثل زيادة أو خسارة عدة غرامات من وزن الجسم

مرة أخرى أرادت أن تسأله عما قالت له ماندي عندما تركته، ولكن، مرة أخرى لم يكن هذا وقتاً مناسباً ربما، في الوقت المناسب، سيفضي إليها بذلك من تلقاء نفسه أما الآن فعليها أن تنتظر.

أحكمت الملاءة حول جسمها قبل أن تبدأ بتناول الطعام، بينما راح جاستين ينظر إليها وعلى وجهه ابتسامة رضى عن الذات

ـ أنت مستمتعة بذلك حقاً، أليس كذلك؟

فأومأت وفمها ممتلىء بالطعام

ـ أنا أحضّر قهوة جيدة لما بعد الفطور.

إبتلعت آخر لقمة من البيض قائلة: «إذا كان مذاقها بنصف جودة رائحتها، سأشعر أنني في الجنة».

فتأوه: «تحبين تعذيب الآخرين».

ـ لا تعرف الشيء حتى تجربه... أنت لا تعلم صعوبة أن أمضي كل يوم في ذلك المكتب إلى جانبك. وأن أتجنبك في الوقت نفسه، لأنك لا ترغب بأن يكون بيننا علاقة من أي نوع.

ـ صدقيني أن ذلك كان أصعب بكثير بالنسبة إلي. وأرجو أن نتمكن، نحن الإثنان، من بعض السيطرة على النفس في العمل إذا نحن بدأنا بالخروج كل ليلة معاً.

فسألته بدهشة: «كل ليلة؟»

ـ هل هذا كثير عليك؟

أرادت أن تقول لا، طبعاً لا. لكنها لم تشأ أن تبدو سهلة إلى هذا الحد. فقالت: «نعم، وآسفة لذلك. فلدينا نحن النساء، أمور شخصية علينا أن نقوم بها أحياناً. كذلك أريد أن أمضي بعض الوقت مع إيزابيل بعد عودتها، فهي أحسن صديقة لدي، قبل كل شيء. وفي الواقع، أنا مدعوة للعشاء معها ومع زوجها، الليلة. لدى زوجها ريف بيت فيه شرفة رائعة في «بادينجتن».

تمتم جاستين وقد بانت الهزيمة على وجهه: «فهمت».

ـ يمكنك أن تأتي معي إذا شئت.

قالت هذا فكوفئت بابتسامة مجفلة: «أحقاً؟»

ـ طبعاً. لا سبيل إلى أن أبقي أمرك سراً عن إيزابيل، حتى إنني لن أحاول ذلك.

ـ ولكن ألن تمانع صديقتك في قبول ضيف إضافي في مثل هذا الوقت القصير؟

ـ لا. ثم إنها ستطلب طعاماً جاهزاً من المطعم على كل حال.

ـ أستغرب فعلاً استقبالها لضيوف على العشاء في الليلة الأولى لرجوعها من رحلة شهر العسل المتعبة.

ـ هذا ما قلته لها على الهاتف، لكنها أصرّت. على أي حال، بما أنهما مسافران في الدرجة الأولى، فعلى الأرجح أنهما ناما طوال الطريق. وهذا يذكرني بأن أذهب إلى البيت لأنتظر اتصالاً هاتفياً منها وأغيّر ملابسي.

ـ هل أنت متأكدة أن بإمكانك السير من دون أن تعرجي؟

ـ أجل

ـ حسناً سأوصلك بنفسي إذاً.

فقالت مازحة «أوه. هل تعني أن لديك سيارة؟ ظننتك تعيش بين القطارات والتاكسيات».

وكان لديه سيارة، طبعاً سيارة جميلة ذات طراز حديث، كحلية اللون، أقرب إلى أن تكون سيارة عائلية تتسع بسهولة لشخصين وولدين.

وتمنت راشيل لو تتوقف عن مثل هذه الأفكار عن جاستين، ولكن بدا مستحيلاً عليها ألّا تستغرق في الأحلام.

ما إن تجاوزت الساعة الثانية بقليل، حتى كانت سيارتهما تقف أمام بيتها في المدينة رافقها جاستين إلى الداخل حسب توقعها، فدعته إلى تناول القهوة وفيما هما يتجاذبان أطراف الحديث أحضرت ألبوم صورها ليراه جاستين فجأة حمل إحدى صورها وراح يتفرس بها. كم كانت تبدو رائعة قبل أربع سنوات! ونظر إليها، فالتقت عيونهما، وراحتا تتبادلان الرسائل المشبوبة بالمشاعر ولم تشعر راشيل إلا بذراعيه تطوقانها ليغرقا معاً في بحر من المشاعر كانا ما يزالان متعانقين عندما اتصلت إيزابيل فأجابت راشيل بصوت أبحّ «نعم»

فقالت إيزابيل مشككة «راش، أهذا أنت؟»

ـ نعم، نعم، إنه أنا، توقف عن هذا يا جاستين، أريد أن أتحدث إلى

إيزابيل.

وجهّت القسم الأخير من حديثها إلى جاستين بصوت منخفض، فقد راح يداعب خصلات شعرها بأصابعه، فسألتها إيزابيل: «هل هو صوت التلفزيون أم أنك تتحدثين إلى شخص ما؟».

- بل... بل أتحدث إلى شخص ما.

بدت الدهشة في صوت إيزابيل: «آه، من؟».

أبعدت راشيل يد جاستين عن شعرها فضحك وعاد ينظر إلى صورها القديمة.

- يبدو كأنه رجل

- وهو كذلك.

- آه، رباه هل وجدت لنفسك صديقاً؟

- هذا صحيح.

- من هو؟ ريف، ريف. راشيل حصلت على صديق!

نادت زوجها قبل أن تعود بانتباهها إلى صديقتها «أين تعرفت إليه؟ كيف يبدو شكله؟ هل يحبك؟»

ابتسمت راشيل وهي التي تعرف طباع إيزابيل. «تعرفت إليه في العمل، وشكله رائع».

إلا أنها تجاهلت الجزء الأخير من سؤالها.

- أظنه يعمل عندكم في الشركة؟

- نعم.

- كيف يبدو؟

- إنه وسيم، ذو بشرة سمراء وهو طويل القامة.

- أهو أعزب أم مطلق؟

- مطلق

- آه، هذا مؤسف، لا يمكن أن تحصلي على كل شيء مرة واحدة هل

له اسم؟

دار رأس راشيل. هذا هو بيت القصيد: «همم... جاستين ماكارثي».

ساد صمت مطبق في الناحية الأخرى، دام عشر ثوانٍ على الأقل. ارتاحت وهي ترى جاستين يحمل فناجين القهوة ويدخل إلى المطبخ ليغسلها، آملة أن تتمكن من تسوية الأمور مع إيزابيل من دون أن يلاحظ ارتباكها.

وأخيراً قالت إيزابيل بصوت ملؤه الذهول: «جاستين ماكارثي، رئيسك! أنت تخرجين مع رئيسك. مع أنك قلت إنه ليس شاذاً، لكن لا شك أن لديه عقدة الاضطهاد والارتياب بشكل محزن».

- همم... نعم.

- ولكن لماذا، وكيف، ومتى بحق الله؟

حاولت راشيل جهدها أن تشرح لها كيف تطورت علاقتهما من دون ذكر لهفتها إليه.

أنبأها تنهد صديقتها بقلقها وهي تقول: «أنت فقط تعرضين نفسك لمزيد من الأذى، يا حبيبتي».

- ربما نعم، وربما لا. كلا الطريقين هو خياري.

فتنهدت إيزابيل: «هذا صحيح».

- إنه حقاً رجل شهم سار للغاية.

- أرجو أن يكون كذلك. علي أن أصدقك.

- لا، ليس عليك ذلك إذا سمحت لي بأن أحضره معي إلى العشاء الليلة، يمكنك عند ذلك أن تحكمي بنفسك.

- يالها من فكرة حسنة!

قالت إيزابيل ذلك بلهجة سببت لراشيل قلقاً بالغاً.

- عديني بأن لا تتكلمي بشكل لاذع أو ساخر.

www.elromancia.com

ـ من؟ أنا؟

ـ نعم، أنت، يا من تستحقين قطع اللسان أحياناً.

ـ سأبذل جهدي كي لا أفعل هذا.

ـ هذا أفضل.

ـ أين هو العاشق حالياً؟

ـ في المطبخ.

ـ هذا حسن لأن لديّ ما أقوله لك.

دارت عينا راشيل: «ماذا؟»

ـ لا تكلميني بهذه اللهجة، ياآنسة. لابد أن يهتم أحدهم بمصلحتك. أنا أعرفك، يا راش. ربما تظنين أنك تحبين هذا الرجل، لكنني أشك في ذلك. فهذا الشعور مجرد ردة فعل لأن إريك هجرك بذلك الشكل. كما أنك كنت تعانين من الوحدة، والوحدة تجعل الفتاة تتصرف بحماقة لا تُصدّق. ويبدو أن رئيسك كان يعاني من الوحدة هو أيضاً، هذا إلى أنه فقد غروره وثقته بنفسه. قلة من الرجال يخرجون من تجربة الطلاق هذه دون تلف خطير في شخصياتهم. ما أدراك أنه لن يستعمل معك نوعاً من الانتقام المريض، فيعاملك كما يتصوّر أن كارل تومبس يعامل زوجته؟ هل فكرت في ذلك؟

ـ نعم.

ـ إذن؟

ـ هذا لا يتلاءم مع أخلاقه. إنه أكثر تهذيباً من أن يفعل ذلك.

ـ أكثر تهذيباً؟ ربما هو خائف من أن تلقي باستقالتك في وجهه. إنه يفكر في المستقبل.

ـ يفكر في أي مستقبل؟

ـ في ذلك اليوم الذي يسأم فيه منك ويطردك.

ـ إنه ليس من ذلك النوع.

فتأوهت إيزابيل: «أنت حقا تظنين أنك تحبينه».

ـ نعم، أحبه. أطلقي عليّ النار.

ـ لأجل الله، يا فتاة. يمكن أن يكون ذلك مجرد رغبة عابرة. حتى من ناحيتك أنت

ـ هل كنت أنت كذلك؟ مع ريف؟

ـ ذلك كان مختلفاً

ـ كيف؟

ـ هكذا فقط

ـ انتظري حتى تري جاستين، ثم أخبريني إذا كنت مازلت تظنين ذلك

ـ لا بأس. سأنتظر.

***

١٤ ـ هل هناك أمل؟

ـ مازلت لا أصدق ذلك.

قالت إيزابيل هذا لزوجها، فيما هما في المطبخ يجهزان قهوة بعد العشاء.

ـ ما الذي لا تصدقينه يا حبيبتي؟ أنك عدت إلى الوطن لتجدي راشيل قد أصبحت رائعة متألقة؟ أم أن رئيسها «البزّاقة الزاحفة البليدة» كما رحت ترددين طوال العصر وأنت تنتقدينه بحدة، رئيسها هذا بدا في الحقيقة رجلاً ممتازاً؟

ـ لا أصدق كلا الأمرين. بصراحة، لم أعد أدري بماذا أفكر. لو لم اكن أعرف تاريخ جاستين ماكارثي، لقلت إنه يحبها. الطريقة التي ينظر بها إليها أحياناً... أما راشيل... من الواضح أن مشاعرها نحوه ليست مجرد رغبة عابرة. من الواضح أنها مجنونة به.

نظر ريف إلى زوجته، وهو مجنون بها، وقال: «ولماذا يساورك القلق، إذن؟»

ـ لأنني لن أحتمل رؤيتها تتألم مرة أخرى. لقد قاست ما يكفي من مرارة الحياة حتى الآن، يا ريف. إنها تستحق السعادة.

ـ أعلم هذا، يا حبيبتي. لكنها امرأة راشدة وعليها أن تقرر حياتها بنفسها. لا يمكنك أن تقرري عنها. حتى لو أمكنك ذلك، ماذا ستقولين لها؟ أتركيه قبل أن يتركك؟ لقد رأيت بنفسك كم غيّرها ذلك. مهما حدث

بينهما في النهاية، لن يكون أمراً سيئاً.

ـ لا... لا. أنت على حق. على الأقل حبها له فعل بشكلها المعجزات. من الصعب التصديق أنها نفس الفتاة التي كانت خائفة من وضع قليل من الصبغة الحمراء في شعرها منذ ثلاثة أسابيع فقط. لا أدري ماذا ستفهم أليس من كل هذا.

فسألها مقطباً: «أليس؟».

ـ إنها أم جاستين. هي التي أعطت راشيل الوظيفة عند جاستين منذ البداية.

ـ آه، نعم. تذكرت الآن. حسناً، ربما أليس لا تعلم بعلاقتهما.

ـ إذا لم تكن تعلم، يجب أن تعلم، ألا تظن ذلك؟ أنت أخبرت أمك بشأن علاقتنا على الفور. سأتكلم عن ذلك أثناء تناول القهوة.

فقال بحدة: «إيزابيل، لا تتدخلي».

ـ ولكن...

ـ بدون «لكن» يا حبيبتي... إنها حياتهما.

ـ آه، لا تكن متسلطاً بهذا الشكل! المشكلة معك أنك لا تهتم في الحقيقة. راشيل ليست صديقتك الحميمة كما هي بالنسبة لي.

ـ لا، إنها ليست كذلك، وربما هذا يجعلني أحسن الحكم أكثر في ما ينبغي وما لا ينبغي عليك أن تفعليه. والآن فلنحمل هذه القهوة إلى الضيفين وننهي هذا المساء بالحديث عن أشياء غير قابلة للاشتعال.

ـ مثل ماذا؟

ـ ماذا بالنسبة إلى شكل راشيل الجديد؟ هذا يبقيكما تتحدثان حتى منتصف الليل، عن الشعر والثياب.

ـ هذا مضحك جداً.

ـ وبإمكاننا، أنا وجاستين، أن نتحدث عن أشياء خاصة بالرجال مثل المال والأعمال وكرة القدم.

- أنت ذكر متعصب، يا ريف سانت فنسنت.

- أبداً، بل مجرد رجل يحبك بجنون.

- إذاً، هيا بنا يا عزيزي. إذا لم نسرع بهذه القهوة، ستصبح كالثلج.

أدركت راشيل أن إيزابيل وزوجها في المطبخ يتحدثان عنها وعن جاستين كلما ازداد الوقت الذي تمضيه معه، كلما ازداد ما تشعر به من حب نحوه ولم يكن ما تشعر به نحوه هو رغبة عابرة بكل تأكيد. بل الرجل نفسه يسحرها. فهو يملك كل ما كان ينقص إريك: اللطف، ومراعاة الشعور، والاهتمام بها، ثم المرح حين يشاء لقد دهلت لأحاديثه الحافلة بالظرف وسرعة البديهة على مائدة العشاء مع أناس يتعرف إليهم لأول مرة بدا واضحاً أن ريف أحبه، وكذلك إيزابيل.

أثناء جلوسهما وحدهما إلى المائدة، قال جاستين «لقد أحببت صديقيك وبيتهما»

وراح يجيل بصره في أنحاء غرفة الطعام المريحة الدافئة التي تتفرع من غرفة الجلوس

- ربما سيشتريان شقة أوسع بعد أن يولد طفلهما.

- هل هي حامل؟

- أظنني أخبرتك بذلك. نعم. إيزابيل حبلت قبل الزواج. ولكن هذا ليس سبب زواجهما. لقد خططا لذلك بهذا الشكل. أو أن ريف أراد هذا. وفي الواقع، لم تكن إيزابيل تريد أن تتزوج على الإطلاق، لكنها كانت تريد طفلاً آه، أنا لا أوضح المسألة جيداً. إنها معقدة قليلاً

فقال باسماً: «هذا ما يبدو».

- دعني أشرح الأمر بشكل أفضل. منذ أشهر قليلة أرادت إيزابيل أن تحصل على طفل لكنها كانت تخشى من الوقوع في غرام رجال غير مناسبين لا يصلحون لأن يكونوا أزواجاً أو آباء جيدين. ثم تعرفت إلى مهندس وأعجبها فقررت الزواج منه لم تخترء بدافع الحب بل بدافع المنطق، فقد كان

طيباً رقيقاً وتفكيره يشبه تفكيرها. لكن قبل العرس بأسبوعين وقع في حب فتاة أخرى. وفي ذلك الوقت، منذ شهرين فقط في الحقيقة، تعرفت إيزابيل إلى ريف، وكان سيصبح مصوّر عرسها. فانجذبت إليه من أول لقاء لهما. لا، هذا تبخيس للأمور. فقد افتتنت به بجنون إلى حد أنها عندما علمت أنه أعزب وغير مرتبط، وافقت على الذهاب معه في رحلة إلى حيث كانت ستمضي شهر العسل من دون أن يكون هناك ارتباط بينهما، وقبل ريف طبعاً.

فقال جاستين ضاحكاً: «هذا طبيعي».

- آه، نعم. وأي رجل لا يقبل؟ إيزابيل مذهلة الجمال. وبالاختصار، وقع ريف في غرامها أثناء وقتهما الممتع ذاك ولم تعجبه فكرة أن تبتعد إيزابيل عنه. وهكذا تعمّد أن يجعلها تحمل دون معرفتها، آملاً في أن تتزوجه حينذاك.

- تلك كانت جرأة بالغة منه.

- يمكن للحب أن يجعلك جريئاً، كما أظن، وكذلك رغبتك البالغة في شيء ما.

- هذا صحيح.

وغامت عيناه، وشردتا بعيداً. فسألته من دون تفكير: «هل كنت تريد أولاداً حين كنت متزوجاً يا جاستين؟».

- ماذا؟

وحدّق فيها لثانية وكأنه لا يدري ما الذي تعنيه، قبل أن يستوعب الفكرة: «نعم نعم، كنت أريد ذلك، وكذلك ماندي كانت تريده، إلى أن أصبحت...».

وسكت فجأة ثم قال: «هل يمكننا أن نتحدث عن شيء آخر؟».

كانت عودة ريف وإيزابيل بالقهوة مباركة، رغم أن إيزابيل حدست على الفور بأن أمراً ما حصل أثناء غيابهما. فألقت على راشيل نظرة متسائلة.

أجابت راشيل بهزة خفيفة من رأسها وهي تغطي الأمر بابتسامة: «أنت لم تريني الأشياء الجميلة التي اشتريتها من هونغ كونغ، بعد».

فأجاب ريف: «كنت لتوّي أقول هذا لإيزابيل. لماذا لا تذهبان معاً بقهوتكما إلى غرفة النوم بينما نبقى نحن هنا، ونتحدث في شؤون الرجال؟»

دارت إيزابيل بعينيها وهي تدور بالقهوة على الجالسين: «في هذه الحالة لا شك أن لديكما صفقة ما. هيا، يا راش، لنخرج من هنا ونترك هذين ليمثلا دور الرجولة بمفردهما».

صاح ريف في أثر المرأتين وهما تخرجان وفي أيديهما القهوة: «سأدعك تعلمين أنني لا أمثل ابداً دور الرجل».

وسألتها إيزابيل على الفور: «ماذا حدث بينكما؟ كنتما سعيدين كعصفورين عندما تركناكما، أنا وريف، لنعدّ القهوة، وإذا بكما مثوتران للغاية عندما عدنا».

فتهندت راشيل: «دار الحديث عنكما وأنكما تنتظران طفلاً، وبغباء سألته إن كان قد رغب بأولاد حين كان متزوجاً».

فهتفت إيزابيل غاضبة: «وبغباء سألته؟ ما هو الغباء في سؤال طبيعي كهذا؟ حقاً، يا راشيل، لا أراك تتحولين إلى واحدة من تلك النسوة الخائفات من أن يسألن أصدقاءهن أي شيء عن ماضيهم. ماذا عن حياتكما المستقبلية معاً؟ أريد أن أعلم بالضبط ما هي نيته نحوك».

ابتسمت راشيل. يا للعزيزة إيزابيل. إنها صديقة مخلصة حقاً عندما تمثّل دور الأم المتسلطة. إنها لا تعلم ذلك، لكنها مثل أمها تماماً في بعض النواحي، وهذه الحقيقة ستؤلم إيزابيل لو عرفتها.

- إنه يريدني أن أكون صديقته وسكرتيرته الخاصة، لكنه لا يريدني أن أصبح زوجته وأم أولاده. إنه لا يحبني. ولا يريد أن يتزوج مرة أخرى أخبرني بذلك بصراحة. كان صادقاً جداً معي، يا إيزابيل وليس لدي الحق بأن ألقي عليه أسئلة أو أحاول تغيير الحالة الحاضرة.

- آه، يا راشيل، هذا مؤلم للغاية.

- لا، إنه ليس كذلك. فأنا أعرف الحقيقة التي لا مفر منها، وهي أن جاستين لا يريد حبي. بل يريد صداقتي وصحبتي فقط.

- ويمكنك أن تعيشي بذلك فقط؟

- حالياً نعم. لكن هذا لا يعني أن ليس لديّ برنامجاً مختلفاً طويل المدى. أنا لست بهذا القدر من التضحية بنفسي. أنا أحب جاستين أكثر مما أحببت إريك، وهدفي هو أن أتزوجه يوماً ما لكنه لم ينس بعد زوجته تماماً، الا أنني متفائلة بأنه سينساها كما نسيت أنا إريك. الزمن يشفي كل الجروح كما تعلمين.

فقالت إيزابيل بحدة. «لا، ليس دوماً، أحياناً يحصل للناس تسمم جراحي. وفوق ذلك، استغرق منك نسيان ذلك المتعفّن سنوات، يا فتاتي وإلى أن يصبح جاستين جاهزاً للتخلي عن ذكريات زوجته السابقة ربما تكونين قد أصبحت مسنة فلا تتمكنين من إنجاب الأولاد فألى متى ستنتظرين؟»

- آه، يا إيزابيل نجح الأمر معك ومع ريف لأنكما تتبادلان الحب لكن جاستين لم يحبني بعد وهو لن يتزوجني في الوقت المناسب بسبب هذا الأمر وأنا لا أريد أن أكون أماً عزباء أريد أن يحصل ولدي على كل شيء، على والدين يحبانه ويحبان بعضهما بعضاً

قطبت إيزابيل ولوت رأسها جانباً «هل أنت واثقة من أنه لا يحبك؟»

- ماذا؟ إسمعي ما هي لعبتك الآن، يا إيزابيل؟

- أنا فقط أنظر إلى الوضع من راوية مختلفة في الحقيقة، لولا أنني أعلم قصة جاستين لقلت إنه غارق في حبك

شعرت راشيل بوجهها يتوهج «هل تظنين ذلك حقاً؟»

- تماماً قد يكون مغرماً بك لكنه لا يعرف ذلك لقد بقي ريف دهراً قبل أن يدرك أنه يحبني والآن، أخبريني بشيء واحد هل سيخبر جاستين

أمه عنك، أم أن علاقتكما ستبقى سراً؟

- غريب سؤالك هذا. كنت أظنه سيبقي علاقتنا سرية. ولكن لا، فقد اتصل هاتفياً بأليس وأخبرها. ونحن سنتغدى عندها غداً. يبدو أنه يتغدى عند أمه كل يوم أحد.

فقالت إيزابيل متأملة: «حسناً، حسناً، حسناً، هذا خبر جيد. إنه خبر جيد جداً في الواقع».

- هذا ما ظننته أنا أيضاً.

- إذن، لدينا سبب للأمل. أليس كذلك؟

قالت إيزابيل هذا شاعرة بالتفاؤل من هذه العلاقة أكثر مما كانت طوال السهرة. فقالت راشيل باسمة: «نعم، لدينا، يا إيزابيل. والآن، لا مزيد من الكلام عن جاستين. أريد أن أرى كل ما اشتريته من هونغ كونغ».

* * *

١٥ - الابن سر أبيه

سألته راشيل حالمة: «ما الذي تفكر فيه؟».

كانا في طريق العودة، بعد العشاء مع إيزابيل وريف. وكانا قد قطعا مسافة من الطريق من دون أن يتكلما.

لم يجب جاستين على الفور.

منذ حدثته راشيل الليلة بتلك القصة عن ريف وكيف تعمّد أن يجعل إيزابيل حاملاً لكي يجعلها تتزوجه، تملكته أفكار لا يمكن تصديقها. إنه يعلم بأنه لا يحب راشيل. وكيف يحبها وهو مازال يحب ماندي؟ ومع ذلك هاهوذا الآن يريدها أن تكون أماً لولده وزوجة له!

أتراه فقد عقله؟ أم أن سؤال راشيل له عما إذا كان قد رغب في أن يكون له أولاد حين كان متزوجاً من ماندي، جعله يدرك كم يحب حقاً أن يكون له أولاد؟ خسارته المرأة التي يحب لا تعني أن يخسر فرصة أن تكون له أسرة.

ملاحظة أخرى من راشيل الليلة عادت تداعب ذهنه وتعذب ضميره: «يمكن لرغبتك البالغة في شيء ما أن تجعلك جريئاً».

هل سيكون من الجرأة بحيث يخبر راشيل بأنه يحبها ويريد أن يتزوجها؟ أم أن تلك فكرة سيئة؟

- جاستين؟

لكن جاستين لم يجبها متظاهراً بتركيز انتباهه على القيادة. من الأفضل ألا يجيبها الآن. يمكن للكذب أن ينتظر، إلى أن يحين الوقت المناسب.

www.elromancia.com

وأخيراً سمع راشيل تتنهد، ثم تستدير لتنظر من النافذة إلى الطريق تلك الليلة لم يتمكن من النوم إلا بعد فترة طويلة، كان مشغولاً جداً في وضع خطة تجعل راشيل تقع في غرامه

اصطحابها إلى منزل أمه للغداء غداً هي فكرة ممتازة لكنها ستكون الأولى من أفكار كثيرة

لم يدرك جاستين حتى هذه اللحظة كم بإمكانه أن يكون جريئاً عندما يرغب في شيء بشكل بالغ

* * *

هتفت أليس وهي تفتح لهما الباب الأمامي: «راشيل، يا عزيزتي، أرجو أن لا يجرحك قولي إنك تبدين رائعة. لا أكاد أصدق ذلك»

ضحكت راشيل ولم يجرحها هذا «لقد تحسنت قليلاً منذ آخر مرة رأيتني فيها، أليس كذلك؟ لا مزيد من ارتداء الأسود الكئيب»

مراعاة لرأي أليس بأن اللون الأزرق يلائمها، ارتدت راشيل ثوباً حريرياً أزرق بدا مناسباً جداً للون بشرتها. أمضت ساعات طويلة هذا الصباح لتسوّي تسريحة شعرها وزينة وجهها، لكن مظهر الدهشة والسرور على وجه أليس كان يستحق كل هذا التعب

ـ وأنت يا جاستين، يا حبيبي

وانتقلت عيناها إلى ابنها تتأمله من رأسه إلى قدميه «وأنت أيضاً تبدو أصغر بعشر سنوات. مهما يكن ما بينك وبين راشيل، استمر فيه»

ـ ما هذا، يا أمي؟

ـ آه، لا تتصنع البراءة أمامي أنت تعلم أنني لا أستطيع احتمال هذا منك هيا بنا إلى الباحة الخلفية للمنزل وضعت لكما هناك غداءً بارداً طيباً

وصلوا إلى الشرفة الخلفية التي بدت وكأنها إضافة جديدة إلى المنزل كانت ذات نوافذ صغيرة نوعاً ما، لكنها مريحة كما رأت راشيل وقد

امتدت فوقها عريشة عنب جميلة ووضعت فيها أريكة فسيحة من خشب الأرز.

كانت المائدة مليئة بكل أنواع الأطعمة البحرية والسلطات.

قالت أليس: «سأحضر الخبز من الفرن على الفور لا أود أن أستعجلكما للطعام، لكن التنبؤات الجوية أعلنت عن قدوم عاصفة بعد الظهر، وأنا قلقة من إمكانية أن تفسد كل شيء. منذ فترة لم نر الشمس وأريد أن أنتهز فرصة وجودها الآن».

ثم أسرعت خارجة تاركة راشيل لتتأمل بقية الفناء الخلفي الفسيح الذي ينتهي بمرج أخضر انتشرت في أنحائه أحواض الزهور. قالت راشيل لجاستين: «أنت محظوظ لأنك أمضيت طفولتك في هذا الفناء الخلفي الكبير الجميل. كان والداي يعيشان في شقة في المدينة، وكانا يعملان أيضاً فكنت دوماً أشعر بأنني فائضة عن الحاجة. ولم أدهش عندما أرسلاني إلى مدرسة داخلية فقد كنت دوماً أعرقل طريقهما. طبعاً حزنت لمقتلهما، لكنني لم أعرف حنان الوالدين إلا بعد أن عشت مع ليتي. لقد أحبتني حقاً، وكانت دوماً موجودة عندما أحتاجها. لم أشعر بمثل ذلك قط مع أبويّ. وهكذا، عندما احتاجت إليّ، وجدت من المستحيل أن أتخلى عنها».

اكتسحتها موجة من الحزن وهي تفكر في ليتي ومرضها القاسي الذي أودى بحياتها. ولم تدرك أن جاستين كان قريباً جداً منها إلا بعد أن أخذها بين ذراعيه وهو يقول برقّة: «أنت من النوع الذي لا يستطيع أحد أن يتخلى عنه. أنت امرأة غير عادية، وأنا محظوظ جداً بأن وجدتك يا راشيل».

ورفع ذقنها ليعانقها بحنان بالغ بعث غصة في حلقها. هل هو عناق حب؟ هل يمكن أن تتحقق أمنيتها بهذه السرعة؟

قاطعتهما نحنحة أليس، لكن راشيل لم تشعر بالارتباك على الإطلاق. كانت أسعد من أن تشعر بذلك. وبدت أليس سعيدة أيضاً. ربما كانت لها نفس أمنية راشيل أيضاً.

لم تسنح لراشيل فرصة لتعلم ذلك إلا بعد انتهاء الغداء وذهاب جاستين إلى غرفة الجلوس ليشاهد الدورة الأخيرة في مباراة الغولف على التلفزيون. عند ذلك جرّتها أليس إلى غرفة الاستقبال. متذرعة بأنها تريد أن تريها مجموعتها من الخزف الصيني. ولكن سرعان ما تحوّل حديثهما إلى الأمور الشخصية.

سألتها أليس بهدوء: «ألم يخبرك عن ماندي بعد؟»

ـ إنه لا يحب التحدث عنها أو عن زواجه على الإطلاق.

ـ هكذا كان أبوه بالضبط. لم يكن يتحدث عن مشاعره قط أو آلامه. هل تحبين إبني حقاً، يا راشيل؟ أم أنها مجرد مسألة تلاؤم بينكما؟

ـ أنا أحبه من كل قلبي، لكنني لا أجرؤ على البوح له بذلك. لقد أخبرني منذ البداية بأنه لا يريد حبي.

ضحكت أليس بجفاء، فابتسمت راشيل: «كما أنني لا أجرؤ على أن أسأله عن ماندي، رغم أنني أعرف أنها تركته لأجل كارل تومبس. لكنني لا أدري السبب، ويمكنني فقط أن أخمن».

ـ فهمت. حسناً، إذا لم يخبرك هو بما حدث، سأفعل أنا إذن. تلك الساقطة القاسية، وليس هناك وصف آخر لها، أخبرت ابني بأن سبب تركها له هو أنه لم يعد يجذبها قط فقط لأن وزنه ازداد كيلوغرامين أو ثلاثة. في ذلك الوقت كان بائعاً يعمل ساعات طويلة، ويكدح في مشاريعه الخاصة في كل دقيقة تسنح له خارج عمله ليوفّر لها أحسن الأشياء. وعندما اتخذ في نفس الوقت عملاً آخر يتطلب جلوساً دائماً وذلك في إرسال الطعام إلى المساكين، من دون أن تتوفّر له طاقة للرياضة، عند ذلك طبعاً ازداد وزنه قليلاً. لكنه كان بعيداً عن السمنة، ومع ذلك هذا ما قالته عنه يوم تركته. قالت إنه سمين ومترهّل وأيضاً مملّ يجلب السأم كما تذمّرت من حياتهما معاً. ولكن من أين له الوقت الكافي للمرح واللعب وهو يقتل نفسه في العمل لكي يصبح غنياً لأجلها؟ وهذا لا يعني أن بإمكان جاستين أن يصبح

غنياً إلى حد يكفيها، فلا مجال لمقارنته بكارل تومبس. أرادت أن تبرّر سلوكها الشائن المخيف، لهذا ضحّت بثقة واحترام ابني لنفسه. ما فعلته به ذلك اليوم كان عملاً شريراً، شريراً!

وتمتمت راشيل: «مسكين جاستين».

ـ بقي بعد ذلك محطماً وقتاً طويلاً جداً. ملجؤه الوحيد كان العمل والرياضة. والله وحده يعلم مقدار معاناته الجهنمية حينذاك، كرجل، عقلياً وعاطفياً. لا أستطيع أن أخبرك كم أنا سعيدة لأنه وجد أخيراً فتاة محتشمة لائقة مثلك. فتاة يمكنها أن تقدّره حق قدره وتعرف أي رجل ممتاز هو. أنت تحبينه حقاً، أليس كذلك؟

ـ أليس، أنا مجنونة به. أما بالنسبة إلى ماندي، لابد أنها غبية لم تقدّر ما في يدها.

ـ ذلك هو الشيء الغريب. صدقيني ظننتها تقدّره. عندما تزوجته كانت تبدو مغرمة به. ودوماً كانت تقول إنها ستنجب طفلاً طالما تستقر أحوالهما المادية. بصراحة، عندما فعلت ما فعلته، صُدمت مثل جاستين تقريباً. لم تكن تبدو من ذلك النوع من النساء. وطبعاً، هي من النوع الذي يتقاتل الرجال دوماً لأجلها.

فسألتها راشيل وقلبها يلتوي غيرة: «هل هي جميلة إلى هذا الحد؟»

ـ عليّ أن أعترف بأنها مذهلة الجمال، كما أنها فاتنة الحركات. إنها ساحرة لا شك في ذلك، ولا يدهشني أن يلاحقها أمثال كارل تومبس. أما الذي أدهشني فهو نجاحه في الحصول عليها. كنت حقاً أظنها تحب ابني. ويبدو أنها كانت تخدعنا نحن الاثنين. ربما كانت دوماً، في أعماقها، من الباحثات عن الذهب، رغم أنها والحق يقال، لم تأخذ من جاستين ستاً واحداً عندما تركته. ربما بسبب تأنيب الضمير، أو ربما لأنها كانت تحصل على مال كثير من عشيقها الثري. عشيقات مثل أولئك الرجال لا ينقصهم شيء. ومع ذلك، إذا كانت قد ظنت أنه سيترك زوجته ويتزوجها، فقد

ارتكبت غلطة كبرى.

وأضافت أليس: «لكن جاستين سيتزوجك».

وقفز قلب راشيل: «لماذا تقولين ذلك؟».

ـ لأنه إذا لم يفعل يكون مجنوناً. وابني ليس مجنوناً. انتظري وسترين. لا أظنك أخبرته بأنك تحبينه.

ـ أبداً. لماذا؟ أتظنين أنه كان ينبغي عليّ هذا؟

ـ ليس الآن. الرجال يحبون أن يظنوا أن الحب والزواج بأيديهم كلياً. إنها كرامة الرجل. وبذكر كرامة الرجل، أظن علينا أن نذهب إلى كرامة الرجل المذكورة كيلا تشعر بالإهمال منا.

ودخلت المرأتان وهما تضحكان إلى غرفة الأسرة وإذا بكرامة الرجل المذكورة تسكتهما وهي تراقب الرياضة الرجالية على التلفزيون. تبادلت المرأتان النظرات ثم عبستا بوقار وانسحبتا إلى المطبخ لتعدّا شاي بعد الظهر وتتبادلا الآراء الحانقة عن السبب الذي يجعل النساء يزعجن أنفسهن بالوقوع في غرام الرجال.

***

١٦ ـ رحلت إلى الأبد

أصرت راشيل على أن يوصلها إلى بيتها بعد أن تناولا الغداء عند أمه، ولم تدعه إلى الدخول معها إلى المنزل.

ـ لديّ غسيل وأعمال كثيرة أخرى عليّ أن أقوم بها بنفسي لأجل الأسبوع القادم. وأنا واثقة من أنك أنت لديك بعض العمل لتقوم به.

أضافت هذا بحزم حين رأته على وشك أن يناقشها. فتنهد جاستين، ثم ذهب.

وفي الصباح التالي، شعرت راشيل بالسرور لموقفها الحازم ذاك. كما بدت مسرورة أيضاً لكونها ذاهبة في القطار إلى عملها. ولحصولها على مقعد وهكذا راحت تقرأ صحيفتها اليومية على انفراد.

وصدمتها عناوين الصفحة الأولى: «تومبس يهرب من أستراليا». «أحد ملوك المال في فضيحة استثمار».

لم يكن هناك الكثير من التفاصيل، ولكن يبدو أن كارل تومبس قد وقع أخيراً، بما تنبأ له به كثيرون. لقد أفلس وجرّ معه الكثير من الدائنين والمستثمرين. وقد لمّح كاتب المقال إلى أن شركته فقط هي التي أفلست. أمّا على المستوى الشخصي، فتومبس نفسه، ربما مازال بالغ الثراء. ولأنه محتال بارع ومجرد من الضمير فقد سحب أمواله إلى أرصدته في سويسرا، أو إلى مؤسسات أخرى مجهولة خارج البلاد، وذلك قبل أن يهرب أثناء عطلة الأسبوع من دون أسرته.

www.elmomtaz.com

وفي الصحيفة صور لزوجته وأولاده عند بوابة منزلهم الفخم بناحية الميناء مع تعليق تقليدي من زوجته تقول إنها لا تعلم شيئاً عن أعمال زوجها ولا فكرة لديها عن مكانه، مدعية بأن هذا حطمها بقدر ما حطم موظفيه وزملاءه في العمل، الذين بقوا جميعاً من دون عون أو مؤهلات.

أترى ذلك يتضمن خليلته وسكرتيرته الشخصية؟ أم أنها اختفت مع ملك المال عديم الشرف؟

راحت راشيل تتساءل... الزمن وحده سيكشف عن ذلك. ولكن كيف ستكون ردة فعل جاستين لهذا الخبر؟ لم تستطع راشيل أن تتكهن، الحديث عن ماندي ممنوع مع جاستين.

وصلت راشيل إلى العمل متوترة لأنها لم تعرف كيف سيكون مزاج جاستين. لاشك أنه رأى عناوين الأخبار وقرأ المقال، فهو يعمل مع الناس الذين يعيشون ويتنفسون مثل هذه الأخبار. لاشك أن هذا الخبر كان المحور الرئيسي للأحاديث في غرفة الرياضة في الشركة هذا الصباح. كما سيكون الحديث الرئيسي في كل مكتب ومنزل في سيدني اليوم. ولكن ليس معها، إنها لن تجرؤ على طرق الموضوع.

أم أن هذا غير صحيح؟ لن يكون عدم ذكرها له طبيعياً. آه، إنها لا تدري ما عليها أن تفعل.

عندما وصلت كان جاستين في مكتبه، وبابه مغلق. ألقت بصحيفتها على المكتب بشكل ظاهر، ثم بدأت بتحضير القهوة كالمعتاد مصممة على التصرف بشكل طبيعي، وعندما أصبحت القهوة جاهزة، طرقت باب مكتبه ثم دخلت كعادتها هذه الأيام.

كان جاستين جالساً إلى مكتبه وأنفه مدفون في صحيفة الصباح.

قالت بعفوية وهي تضع قهوته: «ما رأيك في إفلاس كارل تومبس بهذا الشكل؟ قرأت ذلك في القطار وأنا قادمة. الصحف مليئة بأخبار إفلاسه».

عندما رفع بصره إليها لم يكن يبدو منزعجاً للغاية، وإنما شارد الذهن قليلاً.

وسرعان ما خفّ اضطراب راشيل نوعاً ما.

جاءها جوابه اللاذع: «هذا أحسن ما يحدث لرجل مثله».

- لا أظنه أفلس حقاً. أمثاله يعرفون كيف يهرّبون أموالهم.

- ربما لا. لكن الصحافة ستلاحقه أينما يذهب. ولن يحصل على حياة سعيدة.

فتابعت تقول وهي تنظر في عينيه: «أنا أشفق على الناس الذين يعملون عنده».

بدت عيناه أكثر صلابة وبرودة: «الذي ينام مع الكلاب ليس له أن يشكو إذا استيقظ مع البراغيث».

صُدمت راشيل بالمرارة الثلجية في صوته. صُدمت وتملكها الذعر. إنه لم ينس ماندي على الإطلاق.

رنين هاتفها منحها عذراً للهرب من مكتبه قبل أن تقول شيئاً تندم عليه فيما بعد. وقد شعرت بالارتياح وهي تغلق الباب الذي يفصل بينهما.

إنها أليس وقد شاهدت الخبر عن تومبس في برنامج التلفزيون الصباحي. قالت أليس: «أليس ثمة خبر عن ماندي؟».

فأجابت راشيل: «لا».

- هي دوماً مستترة قدر الإمكان. كيف حال جاستين؟

- من الصعب أن أقول. أتريدين أن أصلك به؟

لم تشأ راشيل أن تتعوّد على اغتياب جاستين عند أمه.

- آه، لا. كنت أتساءل فقط. أردت أن أقول لك مرة أخرى كم كنت جميلة أمس، يا راشيل.

- شكراً يا أليس، ودعيني أبدي إعجابي بتلك الوليمة الخيالية التي أقمتها. هل أنت واثقة من أنك لا تحاولين أن تجعليني سمينة؟

www.elromancia.com

ألقت بهذه النكتة في الوقت الذي انفتح فيه الباب الخارجي ودخلت منه أجمل امرأة رأتها راشيل في حياتها. كانت أشبه بتلك الصور التي تراها في المجلات؛ طويلة الجسم، والساقين، شقراء الشعر، ذات عينين كبيرتين زرقاوين وفم ممتلىء كأن جسدها خارج لتوّه من مجلة مصوّرة.

تابعت راشيل حديثها محاولة ألّا تظهر ما تملكها لتوّها من غثيان: «ألبس... عليّ.. عليّ أن أذهب. هناك شخص دخل لتوّه...».

ليس مجرد شخص، طبعاً. إنها هي... الساقطة القاسية. القاسية القاهرة، ولكن الجميلة بشكل لا يصدّق.

ـ كيف يمكنني مساعدتك؟

سألتها راشيل بصوت ثلجي امتزجت فيه الكراهية بالخوف. لاعجب في أن جاستين لم ينسها بعد. ما من امرأة يمكن مقارنتها بهذه الساحرة الشقراء؟ تبدو وكأنها المادة التي تتكوّن منها أحلام الرجال.

لكنها، والحق يقال، أسرفت في زينة وجهها أكثر مما ينبغي في النهار، وخصوصاً حول عينيها. كما كانت ملابسها مثيرة نوعاً ما، وغالية الثمن. وبذلتها ذات اللون البيج لابد مصنوعة من أفخر أنواع الجلود، لكنها شديدة الإحكام على جسدها، بتنورة قصيرة للغاية فوقها «بلوزة» دون كمين وفتحة العنق واسعة مثلثة الشكل.

بدت حليها الذهبية حقيقية. كانت تلبس منها أكثر مما يناسب ذوق راشيل، وقد تدلت حول عنقها عدة سلاسل ذهبية. وهي تضع قرطين وإسوارتين في كل معصم. حتى أنها وضعت خلخالاً حول كاحلها وهو الذي جذب نظر راشيل إلى الحذاء الملائم ذي الكعب البالغ الارتفاع الذي تنتعله.

بدت عشيقة غالية الثمن للغاية، بل أشبه بمومس. هل هذا صحيح؟

ـ أخبروني أن هذا مكتب جاستين ماكارثي.

قالت هذا بصوت يستولي حالاً على الانتباه. كان منخفضاً مبحوحاً.

ومليئاً بالإغراء.

ـ نعم، وحضرتك...؟

ـ أنا ماندي ماكارثي. زوجة جاستين السابقة.

قالت هذا من دون أدنى تردد ثم أضافت بابتسامة خفيفة غريبة: «ولا بد أنك سكرتيرته الشخصية الجديدة».

فتصلب جسم راشيل: «هذا صحيح».

ـ فهمت. نعم. فهمت. هل جاستين موجود؟

قالت هذا وهي تسير مباشرة إلى باب مكتب جاستين ثم تدير الأكرة.

اندفعت راشيل واقفة وانفجرت تقول: «لا يمكنك أن تدخلي في هذه اللحظة».

ردت عليها الشقراء وقد أصبحت ابتسامتها ساخرة: «أنت مخطئة، يا حلوتي. يمكنني ذلك وسأدخل. أرجوك لا داعي للهياج. أنا بحاجة إلى التحدث إلى جاستين على انفراد وليس لدي الكثير من الوقت».

فقالت راشيل وهي تصرف بأسنانها: «إذا قلت أي شيء يؤذيه... أي شيء على الإطلاق، سأقتلك».

فضحكت المرأة: «أتعلمين؟ أنا أصدّق أنك تفعلين هذا. محظوظ هو جاستين».

ثم أدارت الأكرة ودخلت. بينما عادت راشيل تجلس شاحبة الوجه وهي ترتجف.

***

بلغت صدمة جاستين الذروة عندما انفتح الباب ودخلت ماندي.

ـ أيّ جهنم...

تمتم بذلك وهو يقف بحركة آلية.

ـ آسفة لدخولي بهذا الشكل، يا جاستين.

قالت هذا بصوت خفيض منغمّ وهي تغلق الباب خلفها: «لم تبد

حبيبتك في الخارج سعيدة جداً لرؤيتي، لكن ذلك لا يمكن تجنبه، يمكنك أن تخبرها بعد أن أذهب بأنني لا أهدّد علاقتكما».

فردّد جاستين ورأسه يدور: «علاقتنا؟».

ـ لا تزعج نفسك بإنكار ذلك. أخبرتني شارلوت بكل شيء هنكما.

بقي جاستين لثانيتين قبل أن يتذكر من هي شارلوت.

ـ لا أنوي أن أنكر ذلك.

قال هذا بهدوء كافٍ مسروراً لتمكنه من تمالك نفسه نوعاً ما.

فقالت وهي تقترب من مكتبه: «إنها جيدة جداً. أحسن مني بكثير».

لم يستطع جاستين أن يسلخ نظراته عنها: مظهرها... مشيتها... ليست هذه هي المرأة التي يتذكرها. لم تلبس ماندي قط ثياباً بهذا الشكل، أو سارت بهذه الطريقة، إنها تبدو أشبه بالمومس! ومومس غالية الثمن، والحق يقال، لكنها مع ذلك، مومس.

وتابعت تقول بصوت لم يعرفه قط أيضاً، صوت أجش هامس: «لن آخذ كثيراً من وقتك. عليّ أن أذهب إلى المطار بعد وقت قصير. سألتحق بكارل خارج البلاد. لا تسألني أين ولا تظهر هذه الدهشة. لابد أنك قرأت الصحيفة هذا الصباح ولابد أنك تكهنت بأنني سأرحل معه. أتمانع في أن أجلس؟ هذه الكعب العالي يتعبني. لكن كارل يحبني أن ألبسه. فهو يراه مثيراً».

سحبت كرسياً جلست عليه، وجدت صعوبة في وضع ساق فوق الأخرى لضيق تنورتها. وعندما أفلحت في ذلك كانت جلستها أبعد ما تكون عن الاحتشام، رغم أنه لم يطل النظر إلى جلستها تلك. عاد يجلس على كرسيه ذاهلاً. ويبدو أنها أساءت فهم دهشته ولكن هذا لا يهم الآن. المهم هو أنه لا يشعر بما كان دوماً يظن أنه سيشعر به فيما لو صادفها في الطريق.

لم يشعر بأي ألم، ولا حرج. لم يستطع أن يجد في نفسه أية ذرة من الكراهية! عندما نظر إلى هذه... الغريبة... الجالسة أمامه، لم يجد فيها أي شبه بالمرأة التي أحبها يوماً. كانت حينذاك امرأة رائعة الجمال حقاً. والآن هي بالضبط ما يبدو عليها...! امرأة للإيجار! رخيصة! كل ما شعر به هو الفضول، وتشوّش الذهن، ما الذي رأته في كارل تومبس فجعلها تفعل هذا بنفسها لأجله؟

سألها: «لماذا يا ماندي؟ هذا كل ما أريد أن أعرفه. لماذا؟»

ـ لماذا؟ ظننت ذلك واضحاً، يا عزيزي. أنا أحب الرجل... وهكذا، فالأمر بسيط.

ـ لا أجد ذلك بسيطاً على الإطلاق. في دقيقة كنت تحبينني، وإذا بك تحبينه. ما الذي وجدته في تومبس لكي تقعي في غرامه؟ إنه نذل من كل النواحي.

بدا عليها الضيق لحظة، ثم التمرّد: «إنه ليس سيئاً للغاية. أنت لا تعرفه كما أعرفه. صحيح أنه مختلف في أسلوب حياته عن الآخرين، لكنه أكثر الرجال الذين عرفتهم إثارة. أنا لا... لا أستطيع الحياة من دونه، يا جاستين. أنا أذهب إلى أي مكان يريدني أن أذهب إليه. وأكون كما يريدني أن أكون. وأفعل ما يريدني أن أفعل».

تملك جاستين الذعر. بدت المرأة مهووسة، قد استحوذ عليها شيء ما. لكنه استحواذ غير صحي. إنه استحواذ مظلم خطير، ومدمّر للنفس، الفتاة الرائعة التي أحبها وتزوجها قد رحلت إلى الأبد. سألها من دون أن يشعر نحوها سوى بالحزن عليها: «لماذا جئت إلى هنا بالضبط، يا ماندي؟ أنا لا أفهم».

ـ جئت إلى هنا لأعتذر شخصياً. الأشياء التي قلتها لك يوم تركتك، لم أكن أعني أياً منها. كنت فقط أحاول أن أجعلك تكرهني بقدر ما كرهت نفسي يومها، فأنت لم تخطىء بشيء. وأنا، رغم كل شيء، مازلت أهتم

لأمرك كثيراً جداً. ولكن... أنا فقط عليّ أن أكون مع كارل.

واغرورقت عيناها بالدموع فجأة لكنها مسحتها بعنف: «ما أغباني إذ أبكي على الحليب بعد انسكابه! ما الفائدة؟ أنا ما أصبحت عليه الآن ولا شيء يمكن أن يغير ذلك».

ـ وما الذي أصبحت عليه الآن؟

ألقى عليها هذا السؤال وهو ما زال يجد صعوبة في استيعاب هذا التغيير فيها.

اشتبكت عيناها بعينيه فوجدهما لا تشبهان أبداً العينين اللتين يتذكرهما. هاتان العينان رأتا الكثير جداً، وفعلتا الكثير.

اقشعر جلده لضحكتها: لا وقت لدي لأخبرك الآن، كما أخشى أن تضطر صديقتك التي تنتظر في الخارج إلى دخول السجن بسبب جريمة، إذا ما أطلت المكوث هنا».

ـ ما الذي تتحدثين عنه؟

ـ عندما جئت قالت لي إنها ستقتلني إذا قلت لك أي شيء يؤذيك مرة أخرى.

ـ هل قالت راشيل هذا؟

ـ هل يدهشك هذا؟

ـ هل أخبرتها من أنت؟

ـ نعم، لكن بدا أنها تعلم قبل ذلك. استطعت أن أرى ذلك في وجهها، لقد تملكني شعور بأنها تعلم الكثير عني. ألم تخبرها أنت؟

ـ لا.

ـ حسناً، إنها تعرف كل شيء. صدقني في هذا.

أدرك، متأوهاً، أنها أمه. أمس، أو ربما قبل ذلك. وهز رأسه بحيرة: «لم تقل كلمة واحدة».

ـ المرأة العاشقة تفعل أيّ شيء كيلا تكدّر حبيبها.

حدق جاستين إليها. هل كلامها صحيح؟ وهل تحبه راشيل؟ يا الله، إنه يرجو ذلك.

ـ هل أخبرتك كم تبدو فاتناً يا جاستين؟ وجذاباً، ووسيماً؟ أنا حمقاء. أنا أعلم أنني حمقاء. لكن مصيري قد تقرّر، يا عزيزي. فقط تذكر... أنني أحببتك يوماً ما.

ووقفت فجأة: «تزوج راشيل، يا جاستين. تزوجها وانجبا أولاداً وكن سعيداً. يجب أن أذهب الآن. عليّ أن ألحق بالطائرة».

قالت هذا واغرورقت عيناها بالدموع مرة أخرى. ذهبت بنفس السرعة التي أتت بها، تاركة جاستين جالساً يحدّق في أثرها. وعندما وقفت راشيل في العتبة طرف بعينيه، ثم رأى مبلغ ما يبدو عليها من قلق. فقال يطمئنها:

ـ لا بأس. لقد رحلت نهائياً.

ـ ولكن هل حقاً رحلت نهائياً، يا جاستين؟

نهض وقد أدرك سبب مجيء ماندي. لكي تمنحه الحرية، الحرية في أن يحب مرة أخرى. لقد اقتطعت جزءاً من حياتها غير الصالحة لكي تفعل شيئاً صالحاً تماماً.

وقال: «نعم، نعم لقد رحلت نهائياً حقاً».

وفي الوقت الذي وصل فيه إلى راشيل كانت هي قد انفجرت بالبكاء. والتوى قلبه وقد أدرك أنها كانت تحبه طوال الوقت. فأخذها بين ذراعيه يحتضنها، وهو يهمس في شعرها: «نحن سنتزوج يا راشيل. وسنعمل معاً ونشتري بيتاً معاً وننجب أطفالاً معاً. آه، ثم هناك شيء آخر. أنا أحبك يا راشيل. أكثر مما أحببت قط من قبل. أكثر بكثير».

* * *

بعد ذلك بشهور، كان جاستين وراشيل قد تزوجا، فكان ريف شاهده وإيزابيل وصيفة شرف بينما أليس كانت ترعى طفلة إيزابيل أثناء العرس.

www.elromancia.com

وهكذا لم يصدر عن الطفلة أي إزعاج. وقد انتخب ضيوف العرس أليس رئيسة لجليسيات الأطفال لأجل كل أطفالهم في المستقبل وطلبوا منها ألا تبيع أبداً بيتها الفسيح ذا الفناء الخلفي.

ولم تبعه! وهكذا أصبح بيت أليس ممتلئاً يوماً بالحب والضحك لسنوات كثيرة قادمة.

www.elromancia.com
مـــرمـــوريـــة